# [القسم الأول من هذا الكتاب
# ما يتعلق بعلم الأصول]

واعلم أن القرآن العظيم قد دلّ على أن معاقد الإيمان مبنية على أمور أربعة كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285]، ونحن رتبنا علم الأصول على هذه القواعد الأربعة:

**القاعدة الأولى في معرفة الله تعالى:** واعلم أن معرفة الله تعالى لا تحصل إلا بأمور خمسة: معرفة الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء. ونحن جعلنا معرفة الله تعالى مبنية على هذه الأصول الخمسة:

# «الباب الأول معرفة الذات»

**وفيه فصول:**

## الفصل الأول:
## في أسرار كلمة [لا إله إلا الله]

قال الله تعالى لرسوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: 19] واعلم أنه تعالى قدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار، والسبب فيه أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول[1] والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع. والأصل يجب تقديمه على الفرع فإنه ما لم يعلم وجود الصانع امتنع الاشتغال بطاعته وخدمته وهذه الدقيقة معتبرة في آيٍ كثيرة.

**أولها:** أن إبراهيم عليه السلام لما اشتغل بالدعاء قدم المعرفة على الطاعة فقال: ﴿رَبِّ

---

(1) أي علم أصول الدين (العقائد).

هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: 83] فقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية بمعرفة حقائق الأشياء، وقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ إشارة إلى استكمال القوة العملية بالاجتناب عن طرفي الإفراط والتفريط فقدّم العلم على العمل والله أعلم.

**وثانيهما**: أنه تعالى لما أوصى إلى موسى عليه السلام راعى هذا الترتيب فقال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: 13-14] فقوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ إشارة إلى علم الأصول، وقوله: فاعبدني، إشارة إلى علم الفروع.

**وثالثها**: أن عيسى عليه السلام لما أنطقه الله في وقت الطفولية[1] قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾[مريم: 30] فقوله ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى علم الأصول وقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ إشارة إلى علم الفروع، فإن الاحتياج إلى الكتاب إنما يكون في معرفة الأحكام والشرائع لا في معرفة ذات الله وصفاته.

**ورابعها**: الآية التي نحن فيها على ما قررناه ولا نزاع أنّ أفضل الأنبياء والرّسل هؤلاء الأربعة، فلما ثبت أن الله تعالى قدّم الأمر بمعرفة الأصول على معرفة الفروع في حق هؤلاء الأنبياء المكرمين ثبت أن الحق الصحيح الصريح ليس إلا ذلك، ومما يؤيد ذلك وجوه أخرى:

**أحدها**: أن أكثر المفسرين على أن أول ما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ هو قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 ـ 5] وهذه الآية مشتملة على دلائل التوحيد وذلك أن أظهر الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم تولد الإنسان من تلك النطفة. ثم إنه تعالى نبّه في هذه الآية على لطيفة عجيبة ولا يتأتى شرحها إلا في معرض السؤال والجواب. فإن قال قائل: لا بد في رعاية النظم بين آخر الكلام وأوله، وهاهنا ذكر الله تعالى تولد الإنسان من النطفة فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 1-2] ثم ذكر بعده:

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5]، فأي مناسبة بين هذين الأمرين؟

---

(1) الطفولية: هكذا وجدنا في النسخة الموجودة بحوزتنا، والظاهر: الطفولة.

**والجواب** :أن أخس المراتب وأدناها العلقة وذلك لأنه يستقذرها كل أحد، وأعلى المراتب وأشرفها كون الإنسان عالماً محيطاً بحقائق الأشياء، كأنه قال تعالى: عبدي تأمل إلى أول حالك حيث كنت علقة وهي أخس الأشياء وإلى آخر حالك حيث صرت ناطقاً عالماً بحقائق الأشياء وهو أشرف المراتب حتى يظهر لك أنه لا يمكن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الدرجة الرفيعة الشريفة إلا بتدبر أقدر القادرين وأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى عن قول الظالمين.

**وثانيها** :أنه تعالى في أول سورة البقرة مدح المؤمنين من أول السورة إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ثم ذم الكافرين في آيتين أولهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 6 ـ 7]، ثم ذم المنافقين في ثلاث عشرة آية أولها قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: 8 ـ 21] ثم لما مدح المؤمن وذم الكافر والمنافق كأنه قيل هذا المدح والذم لا يستقيمان إلا بتقديم الدلائل على أسباب التوحيد والنبوة والمعاد، فإن أصول الإسلام هي هذه الثلاثة فلهذا السبب بيَّنَ الله تعالى صحة هذه الأصول الأربعة بالدلائل القاطعة فبدأ أولاً بإثبات الصانع وتوحيده وبين ذلك بخمسة أنواع من الدلائل:

**أولها**: أنه تعالى استدل على التوحيد بأنفسهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾.

**وثانيها**: بأحوال آبائهم وأجدادهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

**وثالثها**: بأحوال الأرض وإليه الإشارة بقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: 22].

**ورابعها**: بأحوال السماء وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: 22].

**وخامسها**: بالأحوال الحادثة المتعلقة بالسماء والأرض وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة:22] فإن السماء كالأب والأرض كالأم تنزل قطرة من صلب السماء إلى رحم الأرض فيتولد منها أنواع النبات. ولما ذكر هذه الدلائل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] وذلك لأن هذه الدلائل تدل على وجود الصانع من

وجه وعلى كونه تعالى واحداً من وجه آخر، فإنها من حيث إنها حدثت مع جواز أن لا تحدث ومع جواز أن تحدث على خلاف ما حدثت يدل على وجود الصانع القادر، ومن حيث إنها حدثت لا على وجه الخلل والفساد دلت على وحدة الصانع كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22] فلهذا السبب ذكر بعد تلك الدلائل الخمس ذينك المطلوبين: أحدهما إثبات الصانع والثاني إثبات أنه واحد لأن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ مشتمل على إثبات الإله وعلى إثبات كونه واحداً، ثم هاهنا لطيفة أخرى مرعية في هذه الآية وهي أن الترتيب الحسن المفيد في التعليم من الأظهر فالأظهر مرتقياً من الأخفى فالأخفى وهذه الدقيقة مرعية في هذه الآية وذلك أنه ﷻ قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:21] فجعل استدلال كل عاقل بنفسه مقدماً على جميع الاستدلالات لأن اطلاع كل أحد على نفسه أتمّ من اطلاعه على أحوال غيره فيجد بالضرورة من نفسه أنه تارة يكون مريضاً وتارة صحيحاً، وتارة متلذذاً وتارة متألماً، وتارة شاباً وتارة شيخاً والانتقال من بعض هذه الصفات إلى غيرها ليس باختياره ولا باختيار أحد، وأيضاً فكثيراً ما يجتهد في طلب شيء فلا يجد وكثيراً ما يكون غافلاً عنه فيحصل، وعند ذلك يعلم كل أحد عند نقض العزائم وفسخ الهمم أنه لا بد من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير البشر، وربما اجتهد العاقل الذكي في الطلب فلا يجد والغرّ الغبي يتيسر له ذلك المطلوب، فعند هذه الاعتبارات يلوح له صدق قول الشافعي ﷺ:

[ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق] ويظهر له أن هذه المطالب إنما يحصل ويتيسّر بناء على قسمة قسّام لا يمكن منازعته ومغالبته كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: 32]. ثم إن مراتب هذه الاعتبارات غير محصورة فتارة كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:62]، وأخرى كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنبياء:42]. وبالجملة فلما كان اطلاع كل أحد على أحوال نفسه أشد من اطلاعه على أحوال غيره لا جرم قدّم هذا الدليل على سائر الدلائل ثم هذه المراتب يتلوها مرتبة أخرى وهي علم كل واحد بأحوال آبائه وأجداده وأهل بلده، ثم هذه المرتبة الثانية يتلوها مرتبة ثالثة وهي علم الإنسان بأحوال الأرض التي هي مسكن الخلائق فإنها مختلفة الأجزاء كما قال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد: 4] وقال أيضاً: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: 27]، ثم هذه المرتبة الثالثة يتلوها مرتبة

رابعة وهي العلم بأحوال الأفلاك فإن بعضها يخالف البعض في العلو والسفل والصغر والكبر والبطؤ والسرعة اختلاف أحوال الكواكب المركوزة فيها كما قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40] وقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: 28] وقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: 17] وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: 40] وقال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: 54] وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: 61] وقال في سورة نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: 15 ـ 16] وقال في سورة يس: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40] وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [التكوير: 15 ـ 17].

وبعد هذه المرتبة الرابعة مرتبة خامسة وهي الأحوال المنزلة من السماء والأرض وهي نزول المطر من صلب السماء ووقوعه في رحم الأرض، ثم بعد ذلك يحدث في الأرض الواحدة أنواع من النبات بحيث يخالف كل واحد منها صاحبه في اللون والشكل والطعم والطبع والخاصية فمنه ما يكون قوتاً ومنه ما يكون أداماً ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دواء ومنه ما يكون سُمّاً ومنه ما يكون علفاً لسائر الحيوانات، فذكر في تفصيل المطعومات قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [عبس: 25 ـ 26] إلى آخره، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: 95] بل إذا نظرت إلى ورقة واحدة من أوراق الورد وجدت أحد وجهيها في غاية الحمرة والوجه الآخر في غاية الصفرة مع أنها تكون في غاية الدقة وقلة الثخانة، ونحن نعلم بالضرورة أن نسبة تأثير الكواكب وحركات الأفلاك والطبائع إلى كل واحد من وجهي تلك الورقة الدقيقة جداً من الورد نسبة واحدة فاختصاص أحد وجهي تلك الورقة بالحمرة والأخرى بالصفرة لا بد وأن يكون لأجل القادر المختار الذي يفعله بالعلم والقدرة لا بالغلبة والطبيعة.

وإذا عرفت ذلك ظهر أن الله تعالى في ترتيب هذه الدلائل الخمسة وتقديم بعضها على بعض حكماً بالغة وأسراراً مرعية فسبحان من لا نهاية لعلمه ولا غاية لحكمته. ثم إنه تعالى لما بيّن دلائل الذات لإثبات الصانع ووحدانيته أردف هذه المسألة بمسألة إقامة الدلالة على نبوة محمد ﷺ هي قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23] وذلك لأن التحدّي وقع بكل القرآن في

قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88] فلمَّا عجزوا عن معارضة كل القرآن أتبعه بالتحدّي بعشر سور من القرآن فقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: 13] فلمَّا عجزوا عنه أتبعه بالتحدّي بسورة فقال هاهنا: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فلما عجزوا عنه أتبعه بالتحدي بآية: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: 34] فلما عجزوا عنه مع توفّر الداعي ظهر كونه معجزاً باهراً وبرهاناً قاهراً.

ثم إنه أتبع هذه المسألة بمسألة المعاد وهي قوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: 25] كأنه قيل: إنا قدّمنا مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين فلو لم يكن معاد يجد المحسن ثمرة إحسانه ويجد المسيىء عاقبة إساءته لم يكن ذلك لائقاً بحكمتي وهذا هو المراد في قوله في «النجم»: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: 31].

وقال تعالى في «طه»: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 14 ـ 15]، وقال في «صٓ»: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [صٓ: 28] وظهر بما ذكرنا أنه تعالى لم يذكر في أول كتابه إلا دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وثبت أنه لا بد من تقديم الأصول على الفروع فلهذا السبب قدم الله الأمر بالتوحيد على الأمر بالاستغفار فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: 19].

**[الوجه الثالث]**: في تقرير هذا الأصل أنه تعالى قال في أول سورة النحل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

فقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ إشارة إلى علم الأصول وقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ إشارة إلى علم الفروع.

**[الوجه الرابع]**:

أن موسى عليه السلام لمّا ادّعى الرّسالة عند فرعون، قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 23] يعني أن رسالتك متفرعة على إثبات أنّ للعالم إلٰهاً؛ فما الدليل عليه؟

ثمّ إنّ موسى عليه السلام لم ينكر هذا السؤال بل اشتغل بذكر الدّلائل الدالة على وجود الصّانع فقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 26] فاستدلّ على وجود الصانع أوّلاً: بأحوال نفسه، وثانياً: بأحوال آبائه.

وهو نظير قوله في سورة البقرة: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 21]؛ فظهر بما ذكرنا، وجوه الفائدة في أنّه تعالى ذكر أولاً قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وذكر ثانياً: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ والله أعلم بحقائق كتابه؛ فهذا ما يتعلق بالدلائل القرآنية الدّالة على تقديم علم الأصول على علم الفروع، **ولنؤكد هذه الوجوه بخمسة عشر وجهاً:**

**الوجه الأوّل**: هو أن شرف العلم بشرف المعلوم، فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف فلمّا كان أشرف المعلومات ذات الباري وصفاته وجب أن تكون معرفته وتوحيده أشرف المعلوم.

**الحجة الثانية**[1]: أنّ العلم إمّا أن يكون دينياً أو يكون غير دينيّ، ولا أشك في أنّ العلم الدينيَّ أشرف من غير الدينيّ، وأما العلم الدينيّ فإما أن يكون علم الأصول أو ما عداه، أمّا ما عدا علم الأصول فإن صحته موقوفة على صحة علم الأصول؛ لأنّ المفسر إنما يبحث عن معاني كلام الله وذلك فرع على معرفة الصّانع المختار المتكلم، وأمّا المحدّث فإنما يبحث عن كلام رسول الله ﷺ، وذلك فرع على ثبوت نبوّته، والفقيه إنمّا يبحث عن أحكام الله تعالى، وذلك فرع على ثبوت التوحيد والنبوّة؛ فثبت أن هذه بأسرها مفتقرة إلى علم الأصول، وظاهر أنّ علم الأصول غني عنها بأسرها فوجب أن يكون علم الأصول أشرف.

**الحجة الثالثة**: أنّ شرف الشيء قد يظهر بواسطة خساسةِ ضِدِّه، فكُلما كان ضِد الشيء أخسَّ كان هو أشرف، ولا شك أنّ ضدَّ علم الأصول هو الكفر والبدعة وهما من أخسّ الأشياء فوجب أن يكون علم الأصول من أشرف العلوم.

**الحجّة الرابعة**: أن شرف العلم تارة يكون لشرف موضوعه وتارةً لشدَّة الحاجة إليه، وتارة لقوّة براهينه ودلائله؛ وذلك لأنّ علم الهيئة أشرف من علم الطب نظراً إلى أن موضوع علم الهيئة أشرف من موضوع علم الطبّ، وإن كان علم الطبّ أشرف من

(1) الحجة الثانية: غيّر التعبير بالوجه إلى التعبير بالحجة هنا وفي الثلاث عشرة الباقية.

حيث إن الحاجة إلى علم الطب أشد، وعلم الحساب أشرف منهما من حيث إن براهين هذا العلم أقوى، وعلم الأصول يستجمع لهذه الخصال:

أمّا شرف الموضوع فذلك لأنّ المبحوث عنه ذات الله وصفاته وقدسه وعظمته، ولا شكَّ أنها أشرف، وأما شدة الحاجة فظاهر، لأن الحاجة إما في الدّين وإما في الدّنيا، أمّا في الدّين فلأن من عرف هذه المطالب استحق الثواب العظيم وتخلّص من العقاب العظيم[1] وصار من زمرة الملائكة المقربين في جوار ربّ العالمين، ومن جهلها صار محروماً من الثواب العظيم مستوجباً للعقاب الأليم وصار من زمرة الأبالسة والشّياطين، وبقي في دركات الضّلالة أبد الآباد ودهر الدّاهرين وأما في الدنيا، فلأن معظم مصالح العالم إنما تنتظم بسبب الرغبة في الثّواب والرّهبة من العقاب وإلّا لوقع الهرجُ والمرج في العالم.

وأما قوة براهين هذا العلم فلأن براهينها مركبة من المقدمات البدهية الضرورية، وهي أقوى العلوم والمعارف فثبت أن علم الأصول مستجمع خصال الشرف فوجب أن يكون أشرف العلوم.

**الحجة الخامسة**: أن هذا العلم لا يتطرّق إليه النّسخ والتغيير ولا يختلف باختلاف النواحي والأمم بخلاف سائر العلوم فوجب أن يكون أشرف العلوم.

**الحجة السادسة**: أن الإنسان لا يكون من أهل النّجاة والدّرجات إلا مع هذا العلم، وقد يكون من أهل النجاة وإن لم يتعلم شيئاً من الفقه أصلاً ألبتة.

أما أنه لا بُدَّ في النجاة من علم الأصول فلأن الجاهل بالله العليّ وصفاته الحقة لا يكون من أهل النجاة بالإجماع، وأما أنه قد تحصل النجاة بدون الفقه فلأن الإنسان قبل البلوغ لا يكون مكلفاً بشيء من الأعمال؛ فإذا بلغ وقت الضحوة ففي هذه الساعة لم يجب عليه شيء من الصلوات والزكوات والصّيامات وسائر العبادات؛ فلو مات في هذه الساعة مع المعرفة والتوحيد لقي الله مؤمناً حقاً. ولو قدرنا أن هذا الذي بلغ كان امرأة ثمَّ لمّا بلغت حاضت وبقيت مدةً أخرى في البلوغ وهي غير مكلفة لا بالصلاة ولا بالصّيام ولا القراءة فإذا انقضى زمان حيضها ماتت فهي قد لقيت حضرة الله تعالى مؤمنةً حقاً فعلمنا أن النجاة واستيجاب الدرجات لا يتوقف على الفقه وهي موقوفة

(1) العظيم: كذا في الأصل، والظاهر: الأليم بقرينة قوله في الفقرة الآتية: (للعقاب الأليم).

على معرفة الأصول.

**الحجة السابعة**: أن الآيات المشتملة على دلائل علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع بدليل أنه جاء في فضل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ وآية الكرسيّ و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ . . .﴾ ما لم يجيء مثله في فضل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ. . .﴾ و﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ. . .﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ. . .﴾ ولذلك فإن الزهاد والعُبّاد مواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلٰهيات دون الآيات المشتملة على هذه الأحكام.

**الحجة الثامنة**: أنّ الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأمّا البواقي فهي في[1] بيان التوحيد والرّد على عبدة الأوثان، وأصناف المشركين[2]؛ وفي إثبات النبوّة والمعاد ومسألة القضاء والقدر.

وأما الآيات الواردة في القصص فالمقصود منها إما التوحيد وإما النبوّة، أما على[3] التوحيد (فهي الاستدلال)[4] بها على قدرة الله تعالى وحكمته كما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: 111] وأمّا على النبوّة فمن وجهين:

**الأول**: (بألفاظ مختلفة)[5] كما قال في سورة الشعراء بعد ذكر القصص: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 192-194] ووجه الاستدلال به أنّه ﷺ لما لم يتعلم علماً ولم يقرأ كتاباً ولم يتلمّذ لأستاذ استحال منه رواية هذه القصص إلّا عن وحي الله وتنزيله.

**والثاني**: أنّه يذكر القصة الواحدة مراراً مختلفة (بألفاظ مختلفة)[6]، وكل (ذلك)[7] متشابهة في الفصاحة، مع أن الفصيح إذا ذكر القصة الواحدة (مرة واحدة)[8]

---

(1) [في] زيادة من (ب).
(2) [وأصناف المشركين] في (ب): [والأصنام والمشركين].
(3) [على] زيادة من (ب) يقتضيها السياق.
(4) [فهي الاستدلال] في (ب) [فهو أن يستدل].
(5) [بألفاظ مختلفة] ساقط في (ب).
(6) [بألفاظ مختلفة] ساقط في (ب).
(7) [ذلك] ساقط من (ب).
(8) [مرة واحدة] ساقط من (ب).

بالألفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة أخرى بالألفاظ الفصيحة؛ فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله لا من عند البشر، فدلَّ هذا على أن معظم القرآن في علم الأصول فلنشر إلى (معاقد)[1] الدلائل أما دلائل التوحيد فتارة (بانخلاق)[2] الإنسان من النطفة والله تعالى ذكر هذه الدلائل في القرآن أكثر من ثمانين مرة، وتارة بدلائل الآفاق وهي أحوال السّماء والأرض والهواء والنبات والحيوان، وهي أظهر من أن يحتاج للشرح.

**وأمّا الدلائل الدالة على الصفات فنقول:** أما الذي يدل على العلم فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:5] (ثم أردفه بقوله جلّ وعزّ)[3]: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران:6] (و)[4] هذا هو دليل المتكلمين فإنهم يستدلّون بأحكام الأفعال وإتقانها على علم الفاعل؛ فهاهنا استدلّ سبحانه بتصوير المصور في ظلمات الأرحام على كون الفاعل عالماً وقال أيضاً: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:14] وهو (غني عن)[5] تلك الدلالة وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:59] وهذا تنبيه على كونه تعالى عالماً بكل المعلومات لأنه تعالى يخبر عن المغيبات فتقع تلك الأشياء على وفق ذلك الخبر، وذلك يدلّ على كونه[6] تعالى عالماً بالمغيبات.

وأما صفة القدرة فكل ما ذكر الله تعالى في القرآن من الثمار المختلفة والحيوانات المختلفة مع استواء تأثير الطبايع والأفلاك فإنه يدلّ على صفة القدرة، وسيجيء الاستقصاء في هذه الدلائل القرآنية إن شاء الله تعالى.

**الحجة التاسعة:** أن الله تعالى حكى عن أكثر الأنبياء: أنّهم كانوا طول عمرهم مشتغلين بهذه الدلائل ولنذكر ما يدلّ على المقصود: أمّا الملائكة فإنّهم لمّا قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30] كان المراد أنّ خلق أمثال

---

(1) [معاقد] في (ب) معنى.
(2) [بانخلاق] في (ب) بخلق.
(3) [ثم أردفه بقوله جل وعز] ساقط من (ب).
(4) [و] ساقط في (أ).
(5) [غني عن] في (ب) عين.
(6) في (ب) [على أن كونه].

هؤلاء سبب الشرّ والفتنة وذلك قبيح والحكيم لا يفعل القبيح؛ فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 30] والمعنى ـ والله أعلم ـ : إنّي لما كنت عالماً بكل المعلومات كنت قد علمت في خلقهم وإيجادهم[1] حكمةً لا تعلمونها[2] أنتم فلمّا سمعوا ذلك سكتوا.

فأمّا مناظرة الله تعالى مع إبليس ـ نعوذ بالله منه ـ فالقرآن ناطق بها، وأمّا الأنبياء فأوّلهم آدم عليه السلام وقد أظهر الله تعالى الحجة على فضله بأن أظهر علمه على الملائكة وذلك محض الاستدلال.

وأما **نوح** عليه السلام فقد حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: 32] ومعلوم أنّ مجادلة الرسول ﷺ مع الكفار لا تكون في تفصيل الأحكام الشرعية فلم يبق إلا أنها كانت في التوحيد والنبوّة وأيضاً فإنه ﷺ لمّا أمرهم بالاستغفار في قوله: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: 10] ففي الحال ذكر ما يدلّ على التوحيد فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح: 15-16].

وأمّا **إبراهيم** عليه السلام فالاستقصاء في شرح أحواله يطول في هذا الباب[3]، وله مقامات: أحدها مع نفسه وهو قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعام:76]، إلى آخر الآية، وهذه هي طريقة المتكلمين فإنه استدل بأفولها وتغيّرها على حدوثها ثم استدلّ بحدوثها على وجود محدثها كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:78 ـ 79]، ثمّ إن الله تعالى عظّم شأنه بسبب ذلك فقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام: 83]، وأيضاً أتى وقت دعائه[4] ما هو محض الاستدلال وهو قوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ﴾ [الشعراء: 78 -79] إلى آخر الآية.

---

(1) وإيجادهم في (ب) واتخاذهم.
(2) تعلمونها في (ب) تعلمون بها.
(3) يطول في هذا الباب في (ب) (في هذا الباب يطول).
(4) أتى وقت في (ب) قال في وقت.

**وثانيها**:[1] حال إبراهيم عليه السلام مع أبيه وهو قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: 42] إلى آخر الآيات.

**وثالثها**: حاله مع قومه تارة بالقول وأخرى بالفعل أمّا القول فقوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52] وأما الفعل فقوله: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: 58].

**ورابعها**: حاله مع ملك زمانه حيث قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258] إلى آخر الآية فهذا كله مباحث إبراهيم في معرفة المبدأ، وأمّا بحثه في معرفة المعاد فهو قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: 260] آخره.

وأمّا **موسى** عليه السلام فانظر إلى مباحثته مع فرعون. واعلم أن موسى عليه السلام كان يعول في الاستدلال على دلائل إبراهيم، وذلك لأنه حكى في سورة طه أن فرعون قال له ولـــهـــارون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 49-50]. وهذا هو الدليل الذي ذكره إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨﴾ ثم حكى تعالى عن موسى في سورة الشعراء أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وهذا هو الذي عوّل عليه إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلما لم يكتف فرعون بذلك وطالبه بدليل آخر فقال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [الشعراء: 28] وهذا هو الذي عوّل عليه إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: 258] فهذا ينبهك على أن التمسك بهذه الدلائل حرفة هؤلاء الأنبياء ثم إن موسى عليه السلام لمّا فرغ من تقرير دلائل التوحيد ذكر بعده دلائل النبوة فقال: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: 30] فهذا يدل على أنه عليه السلام فرّع بيان النبوّة على بيان التوحيد والمعرفة.

وأمّا **سليمان** عليه السلام فله مقامان: أحدهما في إثبات التوحيد والآخر في إثبات النبوّة، أما المقام الأول في إثبات التوحيد فهو قوله تعالى حكاية عنه: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢٦﴾ [النمل: 25 ـ 26] وهذه الآية دالة على وصف الله بالقدرة

(1) وثانيها إلى قوله «يخرج الخبء في السماوات» ساقط في (ب).

والعلم، أمّا القدرة فقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وسمّي المخبوء بالمصدر، وهو يتناول جميع أنواع الأرزاق والأموال، وإخراجه من السماء بالغيث ومن الأرض بالنبات، وتقريره ما قدّمنا.

وأما العلم فيدلّ على ثبوته[1] قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

واعلم أن المقصود من هذا الكلام الرّد على من يعبد الشمس وتلخيص الدلالة على قانون الجدل على وجهين:

**الأول**: الإلٰه يجب أن يكون قادراً على[2] إخراج الخبء ويكون عالماً بالخفيات والشمس ليست كذلك فهي لا تكون إلٰهاً، أما أنه سبحانه يجب أن يكون قادراً عالماً بالخفيات فلما أنه كان[3] واجب الوجود لذاته فلا يختص قدرته وعلمه ببعض المقدورات وبعض المعلومات دون البعض، وأمّا أن الشمس ليست كذلك فلأنها جسم متناهٍ وكلّ ما كان متناهياً في الذات كان متناهياً في الصفات، وإذا كان كذلك امتنع أن تكون الشمس قادرة على الخبء وعالمة بالخفيات وإذا لم يعلم من حالها ذلك لم يعلم من حالها[4] كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار، فرجع حاصل هذا الدليل إلى ما ذكره إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42].

**والوجه الثاني**:[5] أن هذا إشارة إلى دليل إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ إلى آخر الآية، وبيانه أنّه ﷻ هو الذي يخرج الشمس من المشرق إلى المغرب بعد أفولها فهذا هو المراد بإخراج الخبء في السمٰوات، وهو المراد في قول إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76] ومن قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾[6] [البقرة: 258] ومن قول موسى عليه السلام: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وحاصل الكلام

---

(1) وأما العلم فيدل على ثبوته ساقط في (ب).
(2) على إخراج إلى قوله بالخفيات ساقط في (أ) ويوجد بدله: (عالماً على الوجه المذكور فلما).
(3) كان: ساقط في (أ).
(4) ذلك لم يعلم من حالها ساقط (أ).
(5) والوجه الثاني ساقط في (ب).
(6) ومن قوله إلى المشرق ساقط من (ب).

يرجع إلى أنّ أفول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير مدبّر قاهر؛ فكانت العبادة لقاهرها ومدبّرها والمتصرّف فيها أولى.

وأمّا إخراج الخبء في الأرض فالمراد منه إخراج النطفة من بين الصلب والترائب، وهو المراد من قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ومن قول موسى عليه السلام: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

**فإن قيل**[1]: أن إبراهيم وموسى عليهما السلام قدّما دلائل النفس على دلائل الأفلاك، فإن إبراهيم عليه السلام قال أولاً: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ثم قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ وموسى عليه السلام قال أولاً: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ثم قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فلِمَ عكس سليمان هذا الترتيب؟ فقدّم دلائل السمٰوات على دلائل الأنفس فقال: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قلنا: إن إبراهيم وموسى عليهما السلام كانت مناظرتهما مع من ادّعى إلٰهية البشر فإن (نمرود وفرعون) كل واحد منهما كان يدّعي الإلٰهية فلا جرم ابتدأ إبراهيم وموسى عليهما السلام بإبطال إلٰهية البشر ثمّ انتقلا إلى إبطال إلٰهية الأفلاك والكواكب. وأمّا سليمان عليه السلام فإنّه كانت مناظرته مع من يدّعي إلٰهية الشمس؛ فإنّ الهدهد قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل:24] فلا جَرَم ابتدأ بذكر السمٰوات ثم بذكر الأرضيّات ثمّ إن سليمان عليه السلام لمّا تمّم دلائل التوحيد قال بعده: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والمراد به أنّه لمّا بيّن افتقار السمٰوات والشمس وسائر الكواكب إلى مدبّر خالق ذكر بعد ذلك أنّ كل ما كان جسماً فهو مخلوق ومربوب سواء كان عظيماً أو صغيراً فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فهذا مقام سليمان عليه السلام في تقرير دلائل التوحيد. أمّا المقام الثاني له عليه السلام في تقرير دلائل النبوّة فهو قوله تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:38-40] واعلم أن كثيراً من الناس قالوا: ذلك الشخص الذي قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: 40] هو غير سليمان وظنوا أن الكاف في قوله: ﴿ءَاتِيكَ﴾ خطاب مع سليمان عليه السلام وعلى هذا التقدير لا بد وأن يكون ذلك القائل غير سليمان عليه السلام إلا أن هذا ضعيف، بل

(1) فإن قيل إلى قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ ساقط من (ب).

الصحيح عندنا أن الآتي بذلك العرش هو سليمان وذلك لأنه عليه السلام إنما قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ على سبيل التحدي فقال العفريت: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ فقال سليمان عليه السلام للعفريت: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فهذا الكلام قاله سليمان للعفريت تقريراً للتحدي به الذي ذكره أولاً وكسراً للعفريت وإظهاراً للعجز والذي يدل عليه وجوه:

**[الأول]**:[1] أن سليمان عليه السلام قد ذكر دلائل التوحيد أولاً فافتقر بعد ذلك إلى تقرير دلائل النبوّة مع بلقيس فإن سليمان عليه السلام قد كلفها للإقرار بالتوحيد والنبوّة، فلما ذكر دلائل التوحيد وجب عليه أن يذكر بعد ذلك النبوة وهذا معجز دال على النبوّة فوجب جعله معجزاً لسليمان عليه السلام حتى يتم الدليل.

**[الثاني]**: أن لفظة [الذي] موضوعة في اللغة للإشارة إلى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة والشخص المعروف بأن عنده علم الكتاب هو سليمان قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: 79] وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16] فوجب انصرافه إليه، أقصى ما في الباب أن آصف أيضاً كان عالماً بالكتاب إلا أن سليمان كان أعرف به من آصف لأن الرسول أعرف بكلام الله من غيره فكان صرف هذا اللفظ إلى سليمان أولى.

**[الثالث]**:[2] أن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصل لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان وذلك غير جائز.

**[الرابع]**: أن سليمان لو افتقر في هذا العرض إلى آصف لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق.

**[الخامس]**: أن سليمان قال: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40] وظاهره يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله بدعاء سليمان[3] فهذا ما يتعلق باشتغال سليمان عليه السلام بتقرير التوحيد والنبوة. والله أعلم.

أما **عيسى** عليه السلام فإنه أول ما تكلم شرح أمر التوحيد فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ [مريم: 30] وشهادة حاله كانت دالة على صدق مقالته وهذه الكلمة الواحدة

---

(1) الأول في (ب) منها في (ب) سقط هذا الوجه إلى قوله الثاني.
(2) الثالث: سقط هذا الوجه والوجه الرابع من (ب).
(3) فهذا ما يتعلق إلى الحجة العاشرة ساقط في (ب).

كانت جامعة لكل المقاصد، أما دلالته على التوحيد فلأن إنطاق الطفل في زمن الطفولة لا يتأتى إلا من الإله القادر على كل المقدورات.

وأما دلالتها على النبوة فلأن اختصاصه بهذا الفعل الخارق للعادة دال على النبوة. وأما دلالتها على براءة أمه عن طعن اليهود فلأنه لا يليق بحكمة الحكيم تخصيص ولد الزنا بهذه الرتبة العالية والدرجة الشريفة، ثم إنه ﷺ بعد هذه الكلمة الوافية بتقرير كل الأغراض انتقل إلى بيان الشرائع فقال: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30].

وأما **محمد** ﷺ فاعلم أن اشتغاله بتقرير دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج إلى مزيد تقرير فيه، وذلك لأنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان مبتلى بالرد على جميع فرق الكفار **(فالأول)**: الدهرية الذين كانوا يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[الجاثية: 24] والله تعالى أبطل قولهم بأنه خالق الدهر والزمان و**(الثاني)**: الذين ينكرون القادر المختار والله أبطل قولهم بحدوث أنواع النبات وأصناف الحيوانات مع اشتراك الكل في تأثير الطبائع والأفلاك... و**(الثالث)**: الذين أثبتوا شريكاً مع الله وذلك الشريك إما أن يكون علوياً أو سلفياً، والشريك العلوي فمنهم من أثبت ذلك الشريك هو الكوكب والشمس والقمر والله تعالى أبطله بدليل الخليل وهو قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾[الأنعام: 76] ومنهم من قال هو النور والظلمة والله أبطله بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] ومنهم من قال: «يزدان وأهرمن» والله أبطله بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: 22] وبقوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42] وبقوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: 91]. أما الشريك السفلي فمنهم من قال بإلٰهية المسيح والله أبطله بقوله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: 172] ومنهم من قال أنه هو الوثن والله أبطله بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17]. و**(الرابع)**: الذين طعنوا في أصل النبوة وحكى الله عنهم قولهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 94] ثم إن الله ردّ عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32]؟ و**(الخامس)**: الذين طعنوا في التكليف تارة بأنه لا فائدة فيه والله تعالى ردّ عليهم بقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7] وأخرى بأن الحق هو الخير وهوينا في صحة التكليف وأنه تعالى أجاب عنه بقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: 23] و**(السادس)**: الذين سلموا أصل النبوة وطعنوا في نبوة محمد ﷺ والقرآن مملوء من الرد عليهم، ثم إن طعنهم

كان من وجوه: تارة بالطعن في القرآن من حيث أنه مشتمل على ذكر خسائس الحيوانات من البعوضة والنملة والذبابة أجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: 26] وتارة بأن القرآن سحر وشعر فأجاب الله عنه بقوله:

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: 23] وتارة بالتماس سائر المعجزات وهو قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء: 90] فأجاب الله تعالى عنه بقوله: بأن الدليل لما تمّ لم يبق للاقتراح في الزيادات فائدة وهو قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 93] وتارة بأن هذا القرآن نزل نجماً نجماً وذلك بطريق [التهمة] فأجاب الله عنه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: 32] وتارة يحتمل أن يكون هذا القرآن من إلقاء الجن والشياطين كما في الشعر فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: 221-222] الذين أنكروا الحشر والنشر والقرآن مملوء من الردّ عليهم. فثبت بمجموع ما ذكرنا أن الاشتغال بدليل التوحيد والنبوة حرفة جميع الأنبياء عليهم السلام.

**[الحجة العاشرة]**: على نهاية شرف هذا العلم[1] قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] وليس المراد منه المجادلة في فروع الشرائع لأن من أنكر نبوّته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الأحكام ومن أثبت نبوّته فلا يخالفه[2] فعلمنا أن هذا الجدال المأمور به كان في تقرير مسائل الأصول وإذا ثبت هذا في حق الرسول ثبت في حق أمته لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] ولقوله ﷺ: «**سنتي وسنة الخلفاء من بعدي**».

**[الحجة الحادية عشرة]**:[3] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: 8].

---

(1) هذا العلم في (ب) علم الأصول.

(2) في (ب) فإنه لا يخالفه.

(3) الحجة الحادية عشرة من هنا إلى نهاية الحجة الرابعة عشر ساقط في (ب).

وذلك يقتضي أن الجدال مع العلم لا يكون مذموماً وأيضاً حكى الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: 32] ومن المعلوم أن ذلك الجدال كان في تقرير دلائل الأصول وإذا ثبت بهذه الآيات أن الجدال في تقرير الدلائل مستحسن ثبت أن المراد من قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58] محمول على ذم الجدال في تقرير الباطل.

**[الحجة الثانية عشرة]**: أنه تعالى أمر بالنظر فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: 82] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: 17] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: 41] ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 185].

**[الحجة الثالثة عشرة]**: أنه تعالى ذكر التفكير في معرض المدح فقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: 13] وأيضاً ذم المعرضين فقال:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: 105] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 179].

**[الحجة الرابعة عشرة]**: أنه تعالى ذم التقليد فقال حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23] وقال: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: 170] ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: 74] وقال: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: 42] وقال في والد إبراهيم عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: 46] وذلك يدلّ على وجوب النظر وفساد التقليد.

**[الحجة الخامسة عشرة]**: أنه تعالى حكى عنهم أنهم سألوا محمداً ﷺ عن أمور: كقوله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] فذكر في هذه المواضيع كذا وكذا إلّا في آية واحدة وهي أنهم سألوا عن مسألة أصولية وهي قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: 105] فها هنا ذكر حرف التعقيب يعني يا محمد: اذكر هذا الجواب في الحال لأن هذه المسألة مسألة أصولية فلا يجوز تأخير الجواب عنها لأن ذلك يقدح في الإيمان. أما سائر المسائل فإنها فرعية فلا يكون تأخير الجواب عنها

إلى وقت الحاجة ضاراً فثبت بمجموع هذه الدلائل[1] وجوب تقديم الأصول على الفروع فلا جرم، قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:19] فقدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار.

(1) الدلائل في (ب) البيانات.

obeikandl.com

# [الفصل الثاني]:
# في فوائد لا إله إلا الله

**(الفائدة الأولى)**: أن هذا الذكر لمّا كان أفضل الأذكار فالعدو لما جاءته المحنة فزع إليه والولي لما جاءته المحنة فزع إليه. أما العدو فلأن فرعون لما قرب من الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:90] والمعنى أنه لا إله يقدر على أن يجعل النار راحة كما في حق إبراهيم عليه السلام والماء عذاباً كما في حقي ﴿إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:90]، وأما الولي فكما في حق يونس عليه السلام قال تعالى: في حقه:[1] ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والمعنى لا إله إلا أنت فإنك أنت الذي تقدر على حفظ الإنسان[2] حياً في بطن الحوت ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة، فإن قيل كل واحد منهما نادى فلم قبل نداء أحدهما ولم يقبل نداء الآخر؟[3]. قلنا الفرق بينهما من وجوه:

**الأول**: أن يونس عليه السلام قد كان[4] سبقت له المعرفة مع هذه الكلمة فسبق المعرفة إعانة على قبولها منه، وأما فرعون فقد تقدمت له سبق الفكرة وذلك لأن الذي تقدم له في النداء إلى نفسه كما قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: 23 ـ 24] وأما يونس عليه السلام فقد كان ينادي الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48] وأيضاً قال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: 143 ـ 144] وهذا ينبهك على أن من حفظ الله في الخلوات يحفظه في الفلوات[5].

---

(1) في حقه ساقط من (ب).
(2) في حقه الإنسان في (ب) حفظ.
(3) الآخر في (ب) الثاني.
(4) (كان) ساقط في (ب).
(5) حفظ إلخ في (أ) حفظ الله في الخلوات والفرحات يحفظه في الفلوات والترحات ولا يضيع عنده شيء.

**الثاني**:[1] أن يونس عليه السلام إنما ذكر هذه الكلمة مع الحضور فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ وكان في الحضور والشهود، وأما فرعون فإنه قالها في الغيبة فقال: أنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فأحال العلم بحقيقة هذه الكلمة على الغير وأيضاً فقد قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [المؤمن: 85] وفرعون قالها عند البأس والغرغرة فلم ينفعه إيمانه. نسأل الله العفو والعافية من كلّ لمّة ومن مكر الله ونسأل الله أن يختم لنا بخير والمسلمين آمين.

**الثالث**: أن فرعون ذكر هذه الكلمة على سبيل التقليد لبني إسرائيل فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وأما يونس عليه السلام فإنه إنما ذكرها على سبيل الاستدلال مع العجز والانكسار وذلك لأنه كان ينادي في الظلمات فحصل له العجز والانكسار بسبب تلك الظلمات، ثم قال بعده: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فحصل له العجز والانكسار بسبب الزلة وهي خروجه بلا إذن من الله تعالى فلما كانت هذه الكلمة مسبوقة بالعجز والانكسار ملحوقة بهما لا جرم صارت مقبولة لقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

**الرابع**: أن فرعون إنما ذكر هذه الكلمة للمصلحة لا للعبودية بل لطلب الخلاص من الغرق بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: 90] [2] ولو خلص لعاد [على] طغيانه وكفره كما قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، وأما يونس عليه السلام فهو إنما[3] قالها لما حصل له من الانكسار بسبب التقصير في الطاعة والعبودية بدليل قوله بعده: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فظهر الفرق[4] من هذه الوجوه.

**(الفضيلة الثانية)**:[5] لهذه الكلمة أنه تعالى أمرك بطاعات كثيرة من الصلوات والصيام والزكاة والحج ويستحيل أن يكون موافقاً لك في شيء منها، ثم أمرك بأن تقول لا إله إلا الله ثم إن الله تعالى يوافقك فيها فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

---

(1) (الثاني أو يونس) إلى نهاية الوجه الثالث ساقط من (ب).
(2) (ولو خلص) إلى (وأما يونس) ساقط من (ب).
(3) فهو إنما ساقط من (ب).
(4) فظهر الفرق من (ب) فضيلة الفرق.
(5) الفضيلة الثانية غيّر التعبير من الفائدة إلى الفضيلة هنا وفي ما بعده.

إلى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ والمقصود من التكرير[1] وجهان:

**الأول**: أن يكون العبد مواظباً على تكريرها طول عمره والثاني كأنه قال:[2] عبدي جعلت هذه الكلمة أول الآية وآخرها فاجعلها أنت أيضاً أول عمرك وآخره حتى تفوز بالنجاة والسلامة، وها هنا نكت:

**(الأولى)**: أنه تعالى جعلك ثالث نفسه في هذه الآية وكفاك هذا فخراً.

**(الثانية)**: أن يوسف عليه السلام أراد أن يتخذ وزيراً فجاءه جبريل عليه السلام فقال له[3]: «إن الله يأمرك أن تتخذ فلاناً وزيراً لك[4] الذي شهد لك بالبراءة من الفاحشة قد بلغ مبلغاً من العلم فاتخذه وزيراً» فنظر إليه يوسف عليه السلام فكان في غاية الدناءة فسأل جبريل عليه السلام عن السبب فقال: إن له عليك حق الشهادة لأن هو الذي شهد: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ الآية.

والإشارة إلى من شهد لمخلوق وجد وزارته في الدنيا فمن شهد لله[5] بالوحدانية والصمدية والبراءة من المعايب والنقائض والأضداد والأنداد والجلال والتنزيه جدير وحقيق بأن يجد مغفرته ورحمته في العقبى ولله الحمد.

**(الثالثة)**: في الحديث أن الله[6] ملائكته يؤمنون عند تأمين الإمام فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه[7] والإشارة إلى من وافق تأمينه تأمين الملائكة.. مرة صار مغفوراً له[8] فمن وافقت شهادته بوحدانية الله شهد الله ألف ألف مرة أن يصير مغفوراً[9].

---

(1) من التكرير ساقط من (ب).
(2) قال في (ب) قيل.
(3) فقال له في (ب) وقال.
(4) الذي شهد إلى وزيراً ساقط من (ب).
(5) بالوحدانية إلى قوله ولله الحمد في (ب) هكذا «بالتوحيد والجلال ألا يجد مغفرته ورحمته في العقبي».
(6) لله إلخ في (ب) إن الله وملائكته يؤمنون.
(7) من ذنبه في (ب) يوجد (وما تأخر).
(8) مرة إلخ في (ب) مرة واحدة غفر له.
(9) شهد الله إلى مغفوراً في (ب) شهادة الملائكة آلاف مرة ألا يصير مغفوراً له.

**(الرابعة)**[1]: أنه تعالى سمَّاك وقت التخليق مختاراً فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ وفي موضع الذنب جاهلاً: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وفي موضع الرزق دابة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وفي موقف الطاعة أجيراً: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ وعند الشهادة عالماً: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ ثم إن العلم أفضل الدرجات: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ والغرض منه التنبيه على الدرجات فأنت من حيث أتى خلقتك مختاراً فلك درجة موسى حيث قال: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ وحين أذنبت فأنت جاهل والجهل عذر من بعض الوجوه، وحيث تشتغل بطلب الرزق كالبهيمة لأنه تكفل برزقك فما هو مقدر لك يصل إليك وما ليس مقدراً لك لا يصل إليك فكان الطلب عديم الفائدة فكان شبيهاً بأفعال البهائم وحين تشتغل بالعمل كنت كالأجير وكل ذلك درجات نازلة، أما حين تشتغل بالشهادة والتوحيد فأنت من العلماء الغائصين في لجة بحر التحقيق والتوحيد وبلغت الغاية القصوى في المنقبة والشرف كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11].

**الخامسة**: قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: 17] وقعت هذه الإشارة على العصا وعلى اليد أما العصا فقوله: «تلك» وأما اليد فقوله: «بيمينك» وصارت العصا من قوة هذه الكلمة تلقف حبال السحرة وعصيّهم، وصارت اليد يداً بيضاء﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ وكلمة لا إله إلا الله وهي صفة وحدانيته وفردانيته وجلاله وعزته ألا يستقل بإفناء آثار العصيان عن قلب العبد وإنارة روحه بنور المعرفة والهداية.

**السادسة**: عصا موسى أخرج من الجنة فبطل عصيّ السحرة عندها فهذه الكلمة إنما ظهرت من شجرة العزة والربوبية والعظمة ونرجو أن يبطل الذنوب عندها.

**السابعة**: حكي[2] عن الحجاج أنه أمر بقتل رجل فقال: لا تقتلني حتى تأخذ بيدي وتمشي معي[3]، فأجابه إليه فقال الرجل: بحرمة صحبتي معك في هذه الساعة

---

(1) والرابعة من هنا إلى السابعة حكى ساقط من (ب).
(2) حكى في (ب) روي.
(3) معي في (ب) توحد (في دارك) زيادة.

أن لا تقتلني، فعفا عنه. فهاهنا[1] وقعت للمؤمن[2] صحبة مع الله الكريم في هذه الشهادة فنرجو الله أن يغفر له[3].

**الثامنة**[4]: وجد المؤمن بهذه الشهادة أبوة إبراهيم قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وأمومة أزواج النبي ﷺ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] وأخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] واستغفار الأنبياء: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: 19] واستغفار الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: 7] وشفيعاً مثل محمد ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» ومشاركة الله في الاسم: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: 23]؛ فذَنَبه ما أزال عنه هذه التشريفات أفترى أنّه يخرجه عن رحمة الرحمٰن وأرحم الراحمين وأكرم الأكرمين؟!

**التاسعة**: يحكى أنه عرض على (نصر بن) أحمد[5] عسكره فكان يسأل عن أسماء الرجال فيجيبونه؛ فسأل واحداً عن اسمه فسكت لأنه كان سميّه ففطن لذلك فأعطاه خلعة جسيمةً؛ فإذا كان حال سميّ الملك ذلك فكيف بمن كان سميّ ربّه تعالى؟

وفي الخبر: (يؤتى برجل يوم القيامة اسمه محمد فيقول الله تعالى له: أما استحييت أن عصيتني وأنت سمي حبيبي؛ فأنا أستحي أن أعذبك وأنت سميّ حبيبي).

فإذا كان لا يعذِّب سميّ رسوله ﷺ فنرجو من فضله أن لا يعذب سميّ نفسه وهو المؤمن.

**الفضيلة الثالثة**: لهذه الكلمة أن كل طاعة فإنه يصعد الملك بها فأمّا قوله:

---

(1) فهاهنا في (ب) وهاهنا.
(2) للمؤمن في (ب) للمؤمنين.
(3) له في (ب) لهم.
(4) الثامنة من هنا إلى (الفضيلة الثالثة لهذا الكلمة) ساقط من (ب).
(5) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني أبو الحسن الشهير بالسعيد ولد في بخارى سنة 293هـ ـ 905م، تولى الإمارة بعد مقتل أبيه عام 301هـ إلا أن الرعية استصغروه وكاد ينفرط عقد إمارته إلا أنه ما لبث أن شبّ ذكياً مقداماً فجمع الجموع وقاتل الخصوم فاتسع سلطانه فشمل خراسان وجرجان والري ونيسابور وتلك الأطراف. الأعلام جـ 8/ 338 نقلاًعن ابن خلدون (4/ 336) وابن الوردي (1/ 275) وابن الأثير (8/ 130) وشذرات الذهب (20/ 331).

لا إلٰه إلا الله فإنه يصعد بنفسه، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ثم قال[1]: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] أي العمل الصالح يرفعه الملك إلى الله تعالى[2] هكذا قال بعضهم[3].

**الفضيلة الرابعة:** قول[4] بعضهم: الحكمة في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: 1 ـ 2] أن يوم القيامة يتجلى نور[5] كلمة (لا إلٰه إلاّ الله) فيمحق في ذلك النّور[6] نور الشمس والقمر؛ لأن تلك الأنوار مجازية عرضيّة نور: (لا إلٰه إلا الله) نور ذاتي، واجب الوجود لذاته والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة، فلا جرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النّور بل يبطل كل وجود في مقابلة هذه الوجود كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88].

**الفضيلة الخامسة**[7]: أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلاة والصيام والحجّ :فإن التكاليف الظاهرة تزول في عالم القيامة أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم، وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على أنّهم مواظبون على الحمد؟ والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد وإنما قلنا أنهم مواظبون على الحمد، لقوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: 74] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34] ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: 10] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: 70] فثبت أنهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر لا محالة فعلمنا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر والتوحيد.

**الفضيلة السادسة:** ما روي في الآثار أنّه إذا قال العبد: لا إلٰه إلا الله فإنه

---

(1) ثم قال ساقط من (أ).
(2) تعالى في (ب) عز وجلّ.
(3) هكذا قال بعضهم ساقط من (ب).
(4) قوله في (ب) قال.
(5) نور ساقط من (ب).
(6) النور ساقط من (ب).
(7) الفضيلة الخامسة إلخ ساقطة من (ب).

سبحانه[1] يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الأرض)[2]. قال المحقق: السّبب في ذلك أنه كما قال هذه الكلمة فإنه قد ردّ على كل كافر وكافرة تثبت لله ضدّاً وندّاً وشريكاً فلا جرم يستحق الثواب بعددهم.

**الفضيلة السابعة**[3]: قال السديّ[4] في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ الحاء حلمه وحكمه وحجته والميم ملكه ومجده والعين عظمته وعلمه وعزّه وعدله والسين سناؤه وسره والقاف قهره وقدرته، يقول الله تعالى: بحلمي وحكمي وحجّتي وملكي ومجدي وعظمتي وعزّتي وعلمي وعدلي وسناي وسِري وقدرتي وقهري لا أعذّب في النّار من قال مرة: **لا إله إلاّ الله**.

**الفضيلة الثامنة**: قيل: إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل كلمة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لأن صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرّياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص في شيء منها وأمّا كلمة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فهي ذكر الله، والمؤمن لا يذكرها إلا عن صميم القلب.

**الفضيلة التاسعة**: الأحاديث الواردة في فضل هذه الكلمة **فالأول**: قوله عليه السلام: «**أفضل الذكر لا إله إلاّ الله وأفضل الدعاء الحمد لله**»[5]، **والثاني**: عن ابن عمر أنّه عليه أفضل السلام قال: «**ليس على أهل لا إله إلاّ الله وحشة في الموت ولا عند النشر**[6]، **وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلاّ الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون: الحمد لله أذهب عنّا الحزن**»[7].

---

(1) سبحانه ساقط من (أ).

(2) لم نجد هذا الحديث في المراجع التي بحوزتنا.

(3) الفضيلة السابعة من هنا إلى قوله، والثاني عن ابن عمر ساقط من (ب).

(4) هو إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي الكبير القرشي (أبو محمد) مفسر سكن الكوفة، معجم المؤلفين (جـ2/ 276) وأعيان الشيعة (جـ12/ 9 ـ 17).

(5) رواه الترمذي (3380 و3443) وابن ماجه (3800) وابن حبان (834 موارد) والخرائطي في فضيلة الشكر (2/ 2) والحاكم (1/ 503) والبغوي في شرح السنة (1268).

(6) النشر: في (ب) النشور.

(7) رواه الطبراني في الأوسط (ص 436 ـ 437 مجمع البحرين) وابن عدي في الكامل (4/ 1582) والخطيب في تاريخ بغداد (1/ 266 و10/ 265) من حديث ابن عمر ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (1/ 266 و10/ 265 من حديث ابن عمر ورواه الخطيب 5/ 305 من حديث ابن عباس ولا يصح).

=

**والثالث**[1]: يروى أنّ المأمون لمّا انصرف من المرو يريد العراق واجتاز نيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا فقام إليه قوم من المشايخ وقالوا: نسألك بحق قرابتك من رسول الله ﷺ أن تحدّثنا بحديث ينفعنا؛ فروى عن أبيه عن آبائه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى أنه قال: «**لا إله إلا الله حصني، من دخل حصني أمن من عذابي**»[2].

**والرابع**: روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**يفتح الله أبواب الجنة، وينادي مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت فتنادي الجنة وما فيها: نحن لأهل لا إله إلاّ الله ونشتاق إلى أهل لا إله إلاّ الله ولا نطلب إلاّ أهل لا إله إلاّ الله ولا يدخل علينا إلاّ أهل لا إله إلاّ الله، ونحن محرّمون على من لم يقل لا إله إلاّ الله ومن لم يؤمن بلا إله إلاّ الله، وعند هذا تقول النار وكلّ ما فيها من العذاب: لا يدخلها إلاّ من أنكر لا إله إلاّ الله ولا أطلب إلا من كذّب بلا إله إلاّ الله وأنا حرام على من قال: لا إله إلاّ الله ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إله إلاّ الله وليس غيظي إلا على من أنكر لا إله إلاّ الله قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته ويقولان: أنا لأهل لا إله إلاّ الله وناصر لمن قال لا إله إلاّ الله ومحبّ لمن قال لا إله إلاّ الله ومتفضّل على من قال لا إله إلاّ الله ويقول الله تعالى: أبحت الجنة لمن قال لا إله إلاّ الله وحرمت النار على من قال لا إله إلاّ الله وأغفر كل ذنب لمن قال لا إله إلاّ الله ولا أحجب رحمة ومغفرة عمّن قال لا إله إلاّ الله وما خلقت الجنة إلاّ لأهل لا إله إلاّ الله فلا (نلحظ)[3] أهل لا إله إلا آلله إلا بما يوافق لا إله إلا الله**»[4].

---

= ورواه ابن عساكر من حديث علي ابن أبي طالب وفيه عبد الله أحمد بن عامر. قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء رواه الحاكم في تاريخ نيسابور وأبو نعيم في الحلية، والقضا علي في مسند الشهاب من رواية علي بن موسى عن آبائه وهو ضعيف جداً قال ابن طاهر في الكشف عن أخبار الشهاب رواية عن علي الرضي في الحلية أبو الصلب الهروي متفق على ضعفه وراوية عن علي عند القضا عن أحمد بن علي بن حدقة متهم بالوضع، وأما قول صاحب الفردوس أن هذا الحديث ثابت مشهور فمردود عليه. انتهى.

(1) والثالث إلخ من هنا إلى قوله: والسادس عن أنس إلخ ساقط من (ب).

(2) . . . رواه القضا علي في مسند الشهاب (1451) من رواية علي بن موسى الرضي عن آبائه وهو ضعيف جداً.

(3) [نلحظ] في الأصل: (نحلط).

(4) . . . لم نجد هذا الحديث في المراجع التي بحوزتنا.

**والخامس**: قال عليه السلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[1] قال بعض العلماء: إن الله جعل العذاب عذابين أحدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة فالسيف في غلاف يُرى، والنار في غلاف لا يُرى، فقال تعالى لرسول الله ﷺ: من أخرج لسانه من الغلاف (المرئي) وهو الفم فقال: لا إله إلاّ الله أدخلنا السيف في الغمد الذي يرى، ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السرّ فقال له لا إله إلاّ الله أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرّحمة حتى يكون واحد بواحد ولا ظلم ولا جور.

**السادس**: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ: «**من قرأ عند منامه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾** [آل عمران: 19] **خلق الله سبعين ألف خلق يستغفرون له يوم القيامة قال**[2]: **﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾**».

**السابع**[3]: عن علي بن أبي طالب ﷺ قال ﷺ: «**إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [آل عمران: 26- 27] **معلقات، ما بينهنّ وبين الله حجاب**»، «**يقول الله تعالى: بي حلفت لا يقرأكن أحد من عبادي إلاّ جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه ولأسكنته حظيرة القدس ولأنظرنّ إليه بعين الرحمة كل يوم ستين مرة ولقضيت في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأحفظه من كل عدو وحاسد**».

**الثامن**: قال[4] أبو سعيد الخدري: قال ﷺ:[5] «**ما من عبد يقول أربع مرات: اللهم إنّي أشهدك وكفى بك شهيداً وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنّي**

---

(1) . . . رواه مسلم (20 و21) من حديث أبي هريرة وكذلك البخاري (3/ 262 و6/ 111 و12/ 275 و13/ 250 فتح الباري الطبعة السلفية) والبخاري (1/ 497 و496) من حديث أنس ومسلم (21) من حديث جابر و(مسلم 22) من حديث ابن عمر ورواه جمع من الصحابة من طرق كثيرة.

(2) قال في (ب) ثم قال.

(3) السابع إلخ ساقط من (ب).

(4) قال في (ب) روى.

(5) قال ﷺ في (ب) قال ﷺ.

أشهد أن لا إلٰه إلاّ أنت وحدك لا شريك لك وأشهد[1] أن محمداً عبدك ورسولك إلاّ كتب الله له به صكاً بالعتق عن النار»[2].

التاسع[3]: عن ابن عمرو قال: قال ﷺ: «يُجاء برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجلّ مثل مدّ البصر فيقال له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقال له: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول الله تعالى: إن لك عندي وديعة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: لا ظلم اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا ثقل مع اسم الله تعالى[4]».

العاشر: عن أنس قال: قال ﷺ: «ما زلت أشفع إلى ربي فيشفّعني حتى أقول: يا رب شفّعني فيمن قال لا إلٰه إلا الله فيقول الله تعالى: هذه ليست لك يا محمد إنما هذه لي وعزّتي وحلمي ورحمتي لا أدع في النار أحداً قال لا إلٰه إلا الله»[5].

---

(1) وأشهد ساقط من (ب).

(2) . . . لم نجد الحديث في المراجع التي بحوزتنا.

(3) التاسع إلخ من هنا إلى قوله: الأول أسلم نصراني إلى ساقط من (ب).

(4) رواه أحمد (2/ 312 و221)، والترمذي (2639) وحسّنه، وابن ماجه (4300)، وابن حبّان (2524)، والحاكم (1/ 6 و529) وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي ورواه الخطيب في الموضع (2/ 188 و189)، والبغوي في شرح السنة (828).

(5) رواه أبو يعلى (2786)، وابن أبي عاصم في السّنة (828) وهو في حديث أنس الطويل في الشفاعة في الصحيحين.

# [تفسير كلمة لا إله إلا الله]

واعلم أن أهل العرفان ذكروا في تفسير لا إلٰه إلاّ الله وجوهاً:

**«الأول»**: قال ابن عباس: لا إلٰه إلا الله لا نافع ولا ضار ولا معزّ ولا مذلّ ولا معطي ولا مانع إلا الله.

**«الثاني»**: لا إلٰه يرجى فضله ويخاف عدله ويؤمن جوره فيوكل رزقه ويترك أمره ويسأل عفوه ويرتكب نهيه ولا يحرم فضله إلا الله الذي هو رب المؤمنين وغفار المذنبين وملجأ التائبين وستار المغبونين وغاية رجاء الراجين ومنتهى مقصد العارفين.

**«الثالث»**: قول العبد لا إلٰه إلا الله إشارة إلى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتشديد إلى الملك المجيد.

فإذا قال العبد: لا إلٰه إلا الله فالمعنى لا إلٰه له الآلاء والنعماء والقدرة والبقاء والعظمة والسناء والعز والثناء والسخط والرضاء إلا الله رب العالمين وخالق الأولين والآخرين وديّان يوم الدين.

**«الرابع»**: لا إلٰه للرغبة ولا إلٰه للرهبة إلا الله الذي هو كاشف الكربة. عن عمران بن الحصين: قال ﷺ لأبي حصين: **«كم تعبد اليوم من إلٰهٍ؟»** فقال: أعبد ستة أو سبعة في الأرض وواحداً في السماء، فقال ﷺ: **«وأيهم تعبد برغبتك ورهبتك؟»** فقال: الذي في السماء فقال ﷺ: **«فيكفيك إلٰه السماء»** ثم قال: **«يا حصين لو أسلمت علّمتك كلمتين تنفعانك»** فأسلم حصين، ثم قال: يا رسول الله علّمني هاتين الكلمتين فقال ﷺ: **«قل اللهم ألهمني رشدي واغفر لي واعصمني من شرّ نفسي»**.

**«الخامس»**: قيل: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 18] يشهد الله تعالى في عوالم القدس وحظائر الجلال وسرادقات الصمدية والملائكة يشهدون بهذه الشهادة في السمٰوات وأولو العلم يشهدون بهذه الشهادة في الأرضين.

وقال جعفر الصادق[1] وقد سألوه عن هذه الآية: أن الله يشهد لنفسه بالفردانية والصمدية والأحدية والأزلية والأبدية ثم خلق الخلق فشغلهم بعبادة هذه الكلمة وذلك لأن شهادة الحق لنفسه حق وشهادتهم له رسم فكيف يستوي الرسم مع الحق؟

ومن أعلى المراتب طاقة تجلّي نور رب الأرباب. وقال سعيد بن جبير: كان حول الكعبة ثلاث مائة وستون صنماً فلما نزل ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ خرّت الأصنام سجّداً حول الكعبة. **وأما خاتمة المجلس ففيها وجوه:**

**«الأول»**: أسلم نصراني ببغداد أيام الشبلي فقال الشبلي: ما سبب إسلامك؟ فقال: كنت في حال النصرانية أكرم دين النصرانية ورزقت دين الإسلام ببركة إكرام ذلك الدين، فصاح الشبلي وقال: إذا كان من يكرم الدين الباطل والله[2] يرزقه الدين الحق ،فمن يكرم الدين الحق ألا يرزقه الله الرحمة والغفران؟

**«الثاني»**[3]: يحكى أن رجلاً كان واقفاً بعرفات وكان في يده سبعة أحجار فقال: يا أيها الأحجار السبعة اشهدوا لي أنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجب له النار، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الحجارة السبعة وألقت نفسها على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا ثم سبق إلى الباب الثاني فكان الأمر كما في الأول وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى العرش فقال الله سبحانه: «عبدي أشهدت الأحجار فلا يضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي ادخل الجنة». فلما قرب من باب الجنان فإذا أبوابها مغلقة فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخلها الرجل.

---

(1) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام 80هـ وتوفي عام 148هـ، يعد من أجلاء التابعين وكان له منزلة رفيعة في العلم أخذ منه جماعة من العلماء منهم الإمام أبو حنيفة والإمام مالك، كان صريحاً وجريئاً في مقابلة الظلم والظالمين صادقاً في كلامه لذا لقب بالصادق. تاريخ بغداد (جـ 7/ 162)، وفيات الأعيان (جـ 1/ 105)، جمهرة الأولياء (2/ 75).

(2) والله في (أ) فالله. والشبلي هو أبو بكر بن جحدد الشبلي ولد في بغداد سنة 249هـ صحب أبا القاسم الجنيد، ومن عاصره من المشايخ وصار وحيد عصره علماً وتصوفاً وفقهاً تفقه على مذهب الإمام مالك، مات ببغداد عام 336هـ وقبره اليوم مزار معروف. جمهرة الأولياء (جـ 2/ 152).

(3) الثاني إلخ من هنا إلى قوله السابع سأل إلخ ساقط من (ب).

«**الثالث**»: رُئي يزيد بن هارون[1] في المنام بعد موته فقالوا له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي قلنا: بالحديث؟ قال: لا، قلنا: بالعلم أو بالزهد؟ قال: لا، قلنا: فبِمَ ذا؟ قال: أتاني ملكان مهيبان فقالا لي: من ربك؟ ومن نبيك وما دينك؟ فقلت: أمثلي يسأل عن هذا وقد كنت أدعو الخلق إليه منذ سبعين سنة؟ فانصرفا عني.

«**الرابع**»: زاد الماء في بغداد حتى أشرفت على الغرق فقال بعض الصالحين: رأيت في بعض تلك الليالي كأني واقف على طرفٍ وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله غرقت بغداد، فجاء إنسان حسن الصورة وكنت أعلم أنه ملك وجاء آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر: ما الذي أمرت به؟ قال: أمرت بتغريق بغداد ثم نُهيت عنه فقال: ولِم؟ قال: رفعت ملائكة الليل أن البارحة افتضَّ ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله وأمرني بتغريقها، ثم رفعت ملائكة النهار في صبح هذا اليوم سبعمائة أذان وإقامة فغفر الله لهؤلاء بهؤلاء، قال صاحب الرؤيا: فانتبهت وجئت إلى دجلة فإذا الماء قد نقص.

«**الخامس**»: قال بعضهم: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً وساعات النهار والليل كذلك فكأنه قيل: كلّ ذنب أذنبته من الصغيرة والكبيرة والسرّ والجهر والخطأ والعمد والقول والفعل في هذه الساعات فهي مغفورة بهذه الحروف والكلمات، وأيضاً قول: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: 44] وكل كلمة من هذه الكلمات السبع يغلق باباً من الأبواب السبعة على عضو من الأعضاء السبعة وقيل أيضاً: أن كلمة لا إلٰه إلا الله اثنا عشر حرفاً فلا جرم وجب له اثنتا عشرة فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة، أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضى والزهد والتوبة.

«**السادس**»: سأل الشبلي رجل وقال: لم تقول الله ولا تقول لا إلٰه إلا الله؟ فقال: لأن الصدّيق أعطى ماله كله فلم يبقَ له شيء فتجلل بكساء بين يدي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**ما خلّفت لعيالك يا أبا بكر؟**» قال: الله. فكذا أنا أقول: الله، فقال

(1) هو يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمي بالولاء الواسطي أبو خالد، كان من حفاظ الحديث الثقات كان واسع العلم بالدين، ذكياً، كبير الشأن أصله من بخارى ومولده ووفاته بـ(واسط) قدر من كان يحضر مجلسه بسبعين ألفاً. تاريخ بغداد (14/ 337)، وطبقات الشعراني (1/ 74).

السائل: أريد أعلى من هذا فقال الشبلي: أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره، فقال السائل: أريد أعلى من هذا فقال الشبلي: أخشى أن أموت عند الإنكار فلا أصل إلى الإقرار. قال السائل: أريد أعلى من هذا فقال الشبلي: قال الله لرسوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91] فقام السائل وزعق زعقة، فقال الشبلي: الله. فزعق ثانياً فقال الشبلي: الله فزعق ثالثاً ومات فاجتمع أقرباء الفتى وتعلقوا بالشبلي وادعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فأذن لهم فدخلوا عليه وادعوا الدم فقال الخليفة للشبلي: ما جوابك؟ فقال: روح حنت فرنت وسمت فصاحت فدعيت فسمعت فعلمت فأجابت فما ذنبي؟

فصاح الخليفة وقال: خلّوا سبيله.

**«السابع»**: سئل بعض العلماء عن قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: 45] فقال: البئر المعطلة قلب الكافر معطلة[1] من قول لا إله إلا الله، والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بقوله لا إله إلا الله.

**«الثامن»**[2]: جاءت امرأة إلى بعض أكابر الصوفية بقارورة من زيت وقالت: يا شيخ أحب أن تصلح قناديل المسجد من هذا الزيت فقال الشيخ: أيّما أحب إليك نور يصعد إلى السقف أو نور يصعد إلى العرش.

فقالت المرأة: بل نور يصعد إلى العرش، فقال الشيخ: إذا صببت هذا الدهن في القناديل صعد النور إلى السقف وإذا صببته في طعام الفقراء صعد النور إلى العرش، ثم أخذه وأصلح به طعاماً للفقراء فلما أكلوا قال: قولوا من صدق وإخلاص: لا إله إلا الله واجعلوا ثوابها لتلك المرأة.

**«التاسع»**: روي أن أمية بن خلف الجمحي[3] كان ذا مال وأولاد وكان له صنم

---

(1) معطلة في (ب) معطل.

(2) الثامن إلخ من هنا إلى قوله العاشر قال بعضهم ساقط من (ب).

(3) هو أمية بن خلف بن وهب من بن لؤس أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم أدرك الإسلام ولم يسلم وهو الذي عذّب بلالاً الحبشي في بداية ظهور الإسلام أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله، سيرة ابن هشام (2/ 52)، والكامل لابن الأثير (2/ 48)، وعيون الأثر (1/ 259).

يعبده من دون الله وكان له اثنا عشر مملوكاً ولم يكن أحب إليه من بلال وكان (الحب) له بيت الصنم فسجد لله بلال في بيت الصنم فكان يقول: أحد، أحد، فبلغ ذلك إلى النّبي ﷺ فسُرَّ بذلك وبلغ هذا الخبر إلى أمية فقال: يا بلال أتسجد لربّ محمد؟ فقال: نعم أسجد لله الكبير المتعال، فوثب إليه أميّة يضربه ويعذبه، فلما كان نصف النهار جعله عرياناً وطلى عليه الزيت وأقامه في الرمضاء يجرّه الصبيان وكان إذا أصابته الشمس وحرّ الرمضاء يقول: أحد، أحد، فمرّ عليه أبو بكر فقال: يا أمية إلى كم تعذب هذا الغلام؟ فقال: اشتريته بمالي فأنا أحقّ بعذابه، فقال: لا كرامة لك تعذب عبداً قال لا إله إلا الله، فاختصما فقال أبو بكر: لي غلام أبيض على دينك فأنا اشتريته بذلك العبد وعشر أواق من الذهب، وفي رواية أخرى بأوقيتين، فقال: لو طلبت مني هذا الغلام بدرهمين بعته منك، فقال أبو بكر: لو ساومتني بكل ما أملكه لاشتريته، فأخذ بيد بلال وستره بردائه ومسح وجهه من التراب وجاء النبي ﷺ وقال: «**يا معشر قريش اشهدوا أنه حرّ لوجه الله تعالى**» فأنزل الله تعالى في شأنه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الغاشية: 1].

«**العاشر**»: قال بعضهم: الحكمة في سؤال الملكين أن الملائكة طعنت في بني آدم بقولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:30] فقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 30] فإذا مات المؤمن بعث الله إلى قبره ملكين فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربي والإسلام ديني فيأمرهما الله ويقول: «اشهدا بين الملائكة[1] بما سمعتما لأن أقل الشهود اثنان» ثم يقول الله تعالى: «ملائكتي انظروا إلى عبدي وقد أخذت روحه وماله فماله لعدوّه وزوجه[2] في حجر غيره وضيعته في يد غيره، ثم إن الملائكة سألوه في بطن الأرض فلم يذكر عن شيء إلّا عن توحيدي وتنزيهي لتعلموا أني أعلم ما لا تعلمون». وأيضاً قيل[3]: الحكمة في هذا السؤال أن الله قال في الابتداء: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] فشهد الله عليهم فلما جاؤوا[4] إلى الدنيا شهدوا بالتوحيد وشهد عليهم الأنبياء والمؤمنون بذلك فإذا مات[5]

---

(1) بين الملائكة ساقط من (أ).
(2) زوجه في (ب) زوجته.
(3) قيل في (ب) قالوا.
(4) جاءوا في (ب) أخرجهم.
(5) المؤمن ساقط من (ب).

المؤمن وأدخل[1] القبر سأله الملكان عن هذه الشهادة فيشهد بها في قبره فيسمع تلك الشهادة، فإذا جاء يوم القيامة جاء إبليس وأراد أن يأخذه ويضيفه إلى حزبه[2] ويقول: هذا من شيعتي لأنه[3] تبعني في المعاصي فيقول الله تعالى: لا سلطان لك عليه لأني سمعت منه التوحيد في الابتداء، والأنبياء[4] والرسل سمعوا منه ذلك في الوسط، والملائكة سمعوا منه ذلك في الانتهاء، فكيف يكون من شيعتك؟ وكيف يكون لك عليه سلطان؟ اذهبوا به إلى الجنة.

**«الحادي عشر»**[5]: قال بعضهم: حضرت مجلس يحيى بن معاذ الرازي[6] فقرأ رجل قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44] فبكى يحيى وقال: هذا رفقك بمن يقول: «أنا الإله» فكيف رحمتك بمن يقول: أنت الإله؟ هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن والاك ويناديك، هذا رفقك بمن يقول أنا الرب، فكيف رفقك بمن يقوله أنا العبد وأنت الرب، إلهي قول لا إله إلا الله يهدم كفر خمسين سنة فما يصنع بذنوب ساعة؟

**«الثاني عشر»**: قال بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ معنى ذلك القول اللّين أن يقول موسى وهارون لفرعون: يا فرعون وجدت عمرك أربعمائة سنة تقول: أنا ربكم الأعلى فأتيت بقولٍ منكر ما ذكره أحد من الكفار قبلك فقل مرة واحدة: أنت الرب الأعلى ليغفر لك كفر أربعمائة سنة ويطهّرك عن نجاسة الشرك والكفر.

**«الثالث عشر»**: سُئل الشبلي عن أرجى آية في القرآن فقال قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38] والله تعالى أطلق للكفار[7] دخول الجنة بذكر الكلمة مرة واحدة، أترى أن من واظب عليها[8] طول

---

(1) وأدخل من (ب) ودخل.
(2) ويضيفه إلى حزبه ساقط من (ب).
(3) لأنه ساقط من (ب).
(4) والأنبياء في (أ) والانتهاء.
(5) الحادي عشر من هنا إلى الثالث عشر ساقط من (ب).
(6) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، (أبو زكريا واعظ، زاهد لم يكن له نظير في عصره من أهل الري أقام ببلخ ومات في نيسابور عام 258، جهرة الأولياء وأعلام التصوف (2/ 141)، والأعلام للزركلي (9/ 218).
(7) للكفار في (ب) للكافر.
(8) عليها في (ب) على هذه الكلمة.

عمره كيف يمنع[1] من دخول الجنة وهو طاهر عن نجاسة الشرك[2]؟

obeikandl.com

(1) يمنع في (ب) يمنعه.
(2) وهو طاهر عن نجاسة الشرك ساقط من (ب).

# الفصل الثالث:
# في أسماء كلمة التوحيد(1)

**الاسم الأول: التوحيد:** وذلك لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق وفائدة قولنا على الإطلاق أنه تعالى قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: 163] أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: هَبْ أن إلٰهنا واحد فلعلّ إلٰه غيرنا مغاير لإلهنا والله تعالى أزال هذا التوهم ببيان التوحيد المطلق فقال: لا إلٰه إلا هو، وذلك لأن قولنا لا رجل يقتضي نفي الماهية ومتى انتفت الماهية انتفى جميع أفرادها إذ لو حصل فرد من أفراد الماهية لحصلت تلك الماهية، لأن كل فرد من أفراد الماهية مشتمل على تلك الماهية وإذا وجدت تلك الماهية، فذلك يناقض نفي الماهية فثبت أن قولنا لا رجل في الدار تفيد النفي العام الشامل، فإذا قيل بعد ذلك إلا زيد أفاد التوحد التام الكامل. ثم أعلم أن لهذه الكلمة ثمرتين:

**إحداهما:** أن جوهر الإنسان خلق في الأصل مشرفاً مكرماً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70] وإذا كان الأصل فيه كونه مكرماً كان كونه مطهراً على وفق الأصل، فكونه منجساً على خلاف الأصل ثم أنا إذا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجساً بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28] وإذا كان الشرك يقتضي كونه نجساً مع أن ذلك على خلاف الأصل فكونه موحداً يقتضي كونه طاهراً أولى لأنه على وفق الأصل، وإذا ثبت أن الموجود كامل في كونه طاهراً وجب أن يكون من خواص الله كقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: 26].

**الثانية:** أن الشرك سبب لخراب العالم بدليل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: 90-91] وإذا

(1) الفصل الثالث إلخ من هنا إلى الحجة الأولى ما روى أن رجلاً ساقط من (ب).

كان الشرك سبباً لخراب العالم وجب أن يكون التوحيد سبباً لعمارة العالم، ضرورة كون الضدين مختلفين في الحكم، وإذا ثبت أن كلمة التوحيد سبب لعمارة العالم فأولى أن يكون لعمارة القلب الذي هو محل الوحدانية ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية وذلك يناسب عفو الله تعالى عن أهل التوحيد.

**الاسم الثاني: أن هذه الكلمة تسمى كلمة الإخلاص:** وكان معروفاً الكرخي[1] رحمه الله يقول: يا نفس أخلصي تتخلّصي، ثم التحقيق فيه إن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفى عن شوبه وخلص سمي خالصاً، وسمي الفعل المصفي إخلاصاً ولا شك أن كل من أتى بفعل اختياري فلا بد له في ذلك الفعل من غرض، فمهما كان الغرض في الفعل واحداً سمي ذلك الفعل إخلاصاً، فمن تصدّق وكان غرضه محض الرياء فهو غير مخلص ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصّصه العرف بالميل عن الحق، وإذا عرفت هذا فنقول الباعث على الفعل إما أن يكون روحانياً فقط وهو الإخلاص أو شيطاناً فقط وهو الرياء أو مركباً منهما وهو على ثلاثة أقسام لأن الطرفين إما أن يكونا على السوية أو يكون الروحاني أقوى أو يكون النفساني أقوى. القسم الأول وهو أن يكون الباعث رحمانياً فقط وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستغرق الهم به بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه مقر. حتى لا يحب الأكل والشرب بل يكون رغبته فيه في قضاء الحاجة من حيث أنه ضرورة الجبلّة فلذلك لا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقوّيه على عبادة الله تعالى، فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً ليستريح بنفسه فيقوى على العبادة كان نومه أيضاً عبادة، وأما القسم الثاني وهو أن يكون الباعث نفسانياً فهذا لا يتصور إلا من محب

---

(1) معروف الكرخي: هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ أحد أعلام التصوف والزهد، وهو من موالي علي بن موسى الرضا، ولد في كرخ ببغداد من أبوين نصرانيين ونشأ بها وتوفي بها سنة (200هـ) اشتهر بالصلاح والتقوى وكان يقصده الناس للتبرك حتى كان الإمام أحمد بن حنبل من الذين يزورونه بين حين وآخر.

انظر جمهرة الأولياء جـ2/ 142، الأعلام للزركلي (جـ8/ 185) طبقات الصوفية ص: 83-90، تاريخ بغداد (جـ13/ 199).

للنفس والدنيا مستغرق الهم بهما بحيث لم يبق لحب الله تعالى في قلبه مقرّ وكان أن في القسم الأول لما غلب حب الله وحب الآخرة على قلبه اكتسبت جميع حركاته الاختيارية هذه الصفة كذلك من غلب حب النفس والدنيا على قلبه اكتسبت جميع حركاته وأفعاله تلك الصفات.

فلا تسلم له شيء من عباداته، وهذان القسمان لا يخفى حكمهما في الثواب والعقاب وأمّا الأقسام الثلاثة الباقية فنقول: أمّا الذي يستوي الباعثان فيه فالأظهر أنّهما يتعارضان ويتساقطان، ويصير ذلك العمل لا له ولا عليه.

وأما الذي يكون أحد الطرفين فيه أغلب فيحبط منه ما يساوي الطرف الآخر، وتبقى الزيادة موجبة أثرها اللائق، وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: 7].

**وتمام التحقيق فيه**: أن الأعمال لها تأثيرات في القلب فإن خلى المؤثر عن المعارض خلى الأثر عن الضعف، وإن كان المؤثر مقروناً بالمعارض فإن تساويا تساقطا وإن كان أحدهما أغلب فلا بدّ وأن يحصل في الزائد بمقدار الناقص فحصل التساوي بينهما ويحصل التساقط ويبقى القدر الزائد خالياً عن المعارض فيؤثر لا محالة أثراً مّا، وكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن أثر في الجسد كذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشرّ عن أثر في التقرب من باب الله والتبعيد منه فإذا جاء بما يقربه شبراً مع ما يبعد شبراً (فقد)[1] عاد إلى ما كان: لا عليه ولا له وإن كان أحد الفعلين ممّا يقرّبه شبرين، والفعل الثاني ممّا يبعّده شبراً واحداً يصل لا محالة له شيء.

واحتجّ من زعم أن المشوب لا ثواب عليه بوجهين:

**الحجة الأولى**: ما روى أن رجلاً سأل النبي ﷺ عمّن يصطنع المعروف ثم يحبّ أن يحمد عليه[2] فيؤجر، فلم يدر ما يقول حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3] [الكهف: 110].

---

(1) [فقد] في الأصل [وقد].

(2) عليه: ساقط من (ب).

(3) والحديث في صحيح مسلم (2985) بمعناه في حديث أبي هريرة.

**الحجة الثانية**[1]: ما روى أبو هريرة أنّه ﷺ قال لمن أشرك في عمله: «**خذ أجرك ممّن عملت له**». وعن النّبي ﷺ: «**أن الله تعالى يقول: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركت نصيبي لشريكي)**»[2]. والجواب عن الحجة الأولى[3]: أنّها محمولة على ما إذا أتى بالعمل لغرض الدنيا فقط والجواب عن الثانية أن لفظ الشرك محمول على تساوي الداعيتين وقد بيّنا أن عند التساوي ينحبط كل واحد منهما بالآخرة.

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: كلمة لا إلٰه إلا الله مسمّاة بكلمة الإخلاص؛ وذلك لأن الأصل في هذه الكلمة عمل القلب وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل أن يؤتى بها لغرض آخر سوى طاعة الله وحبّه وعبوديته، فهذه المعرفة إن طلبت لوجه الله تعالى لا لغرض آخر ألبتة، بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلهذا السبب سمّيت هذه الكلمة بكلمة الإخلاص.

**الاسم الثالث: لهذه الكلمة كلمة الإحسان**: ويدل على صحة هذه التسمية القرآن والخبر والمعقول: أما القرآن فآيات إحداها قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن: 60] قال المفسرون: المراد من قوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ أي هل جزاء الإيمان.

**والتحقيق فيه**: أن عليك عهد العبودية وعلى كرمه عهد الربوبية كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40] وعهد عبوديتك أن تكون عبداً له لا لغيره ثم كمال هذه الدرجة أن يعرف أنّ كلّ ما سوى الله فهو عبد كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93]، ومن أتى بالفعل على أحسن الوجوه كان محسناً فيه وقوله: لا إلٰه إلا الله يدل على اعترافه بأن كل من سواه فهو عبده ومربوبه، فثبت أن قوله: لا إلٰه إلا الله إحسان من العبد فقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ أي: ما جزاء من أتى بقول لا إلٰه إلا الله إلّا أن

(1) الحجة الثانية إلى قوله عملت له ساقط من (ب).
(2) انظر: تفسير ابن كثير (3/ 108) والدر المنثور (4/ 253 ـ 254) للسيوطي.
(3) والجواب عن الحجة الأولى إلى قوله وثالثها قوله: وحسن قولاً إلخ ساقط من (ب).

أجعله في حماية لا إله إلا الله. **وثانيها**: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] والمراد من قوله ﴿أَحْسَنُوا۟﴾ قول لا إله إلا الله باتّفاق أئمة التفسير وبدليل أنه لو قال ذلك ومات ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة. **وثالثها**: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: 33] واتفقوا على أن هذه الآية نزلت في فضيلة الأذان، وما ذاك إلّا لاشتمال الأذان على كلمة لا إله إلّا الله.

وأيضاً[1] فلأنه تعالى قال في صفة الكفار: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 21] وكما أنّه لا قبيح أقبح من كلمة الكفر فكذلك لا حسن أحسن من كلمة التوحيد؛ ولهذا قال تعالى في أول سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ وقال في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم إنّه لما كان قول الموحد حسناً كان فعله أيضاً حسناً كما قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: 24]، ولمّا كان قول الكافر قبيحاً مظلماً كان مقيله أيضاً مظلماً قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: 257].

**ورابعها**: قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [الزمر: 17-18] ولا شك أن أحسن القول هو قول لا إله إلّا الله.

**خامسها**: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: 90]، وقيل[2]: العدل الإعراض عمّا سوى الله، والإحسان الإقبال على الله[3].

**وسادسها**: قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7] ولا شك أن الإحسان[4] هنا هو قول لا إله إلّا الله.

وأما الخبر فما[5] روى أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**للذين أحسنوا الحسنى**»، أي: للذين قالوا لا إله إلّا الله، الحسنى وهي الجنة، والزيادة

---

(1) وأيضاً فلأنه إلى قوله وخامسها قوله أن الله يأمر بالعدل... ساقط من (ب).
(2) قيل في (ب) قال.
(3) على الله في (ب) عليه سبحانه.
(4) أن الإحسان في (ب) أوّل هذا الإحسان.
(5) وأما الخبر فما ساقط من (ب).

(هي[1] النظر إلى وجه الله الكريم).

وأمّا المعقول[2] فهو أن الفعل كلّما كان أشدّ حسناً كان فاعله أكبر إحساناً، ولا شك أن أحسن الأذكار ذكر لا إله إلا الله وأحسن المعارف معرفة لا إله إلا الله وإذا كان كذلك كانت هذه المعرفة وهذا الذكر إحساناً.

**الاسم الرابع: دعوة الحق:** قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد:14] قال ابن عباس ﷺ: هو قول لا إله إلاّ الله. واعلم أن قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ يفيد الحصر، معناه: له هذه الدعوة لا لغيره كما أن قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ معناه لكم دينكم لا لغيركم. وتحقيق الكلام في إثبات هذا الحصر أن الحق نقيض الباطل فالحق هو الموجود والباطل هو المعدوم فلمّا كان الحق سبحانه حقاً في ذاته ولذاته ولصفاته وكان ممتنع التغيير في حقيقته كان معرفته هي المعرفة الحقة، وذكره هو الذكر الحق والدعوة إليه هي الدعوة الحقة، أمّا كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن لذاته لا تكون معرفته واجب التحقق ولا ذكره ولا الدعوة إليه، وإذا ثبت هذا ظهر تحقيق قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾.

واعلم أن دعوة الحق تارة تكون من الحق للحق إلى الحق وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الخلق:

**أما الأول** فنقول: أما أن دعوة الحق تكون من الحق فلأنه تعالى هو دعا القلوب إلى حضرته، فلولا دعوته إلى تلك الحضرة وتوفيقه لها في ذلك الوصول وإلا فمن أين يتمكن العقل البشري من الوصول إلى جلال حضرة الله تعالى، وأيضاً فلأن مبادىء الحركات وأوائل المحدثات تنتهي إلى قدرة الله تعالى وقضائه وقدره، ولهذا المعنى قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: 4].

وأمّا أن تلك الدعوة للحق فلقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: 16].

وأمّا الانتهاء إلى الحق فلقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم: 42] وأمّا أن

---

(1) هي ساقط من (أ).

(2) وأما المعقول إلى قوله: إحساناً ساقط من (ب).

دعوة الحق تارة تكون من الخلق فلقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: 33] ولقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: 193].

**الاسم الخامس: كلمة العدل:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ قال عثمان بن مظعون الجمحي: ما أسلمت يوم أسلمت إلا حياء من محمد ﷺ وذلك أنه كان كثير العرض للإسلام علي فاستحييت منه وأسلمت ولكن الإسلام ما كان مستقراً في قلبي، ثم أنه ﷺ دعاني يوماً فجلست إليه فبينا هو يحدثني إذ وقع بصري على شخص ينزل من السماء فإذا هو جبريل ﷺ وقال يا محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ العدل شهادة أن لا إله إلّا الله والإحسان القيام بالعبودية، قال عثمان: فوقع الإيمان في قلبي[1]. وقال ابن عباس: العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان الإخلاص فيه، وقال آخرون: العدل مع الناس والإحسان مع نفسك بالطاعة كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ وقال آخرون: يأمر بالعدل مع الأعضاء وبالإحسان مع القلب بأن يربيه بعد التوحيد وشراب المحبة وقال آخرون: العدل رؤية الافتقار إلى الحق والإحسان مشاهدة إحسان الحق على كل شيء في الخلق.

**واعلم أن السبب في تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه:**

**السبب الأول:** أن العدل في كل شيء تحصيل ما هو سبب اعتداله وكمال حاله ومن المعلوم أن كمال حال القوى الحساسة في إدراك المحسوسات وكمال حال القوة الشهوانية في جلب الأشياء النافعة الجسمانية، وكمال حال القوة الغضبية في دفع الأشياء المنافية الجسمانية.

وأما القوة العقلية وكمال حالها وغاية سعادتها أن ترتسم فيها صور الحقائق وأشياء المعقولات كما هي حتى تصير القوة العقلية كالمرآة التي تجلب فيها صور الوجود بتمامها ولا شك أشرف المعقولات وأعلاها معرفة جلال الله وقدسيته وعظمته وعزته فكان غاية العدل والاعتدال للأرواح البشرية والقوى العقلية كونها مقبلة على هذه الحالة مستغرقة فيها فلهذا السبب سميت كلمة لا إله إلّا الله بكلمة العدل.

**السبب الثاني:** أن هذه الكلمة إنما سميت بكلمة العدل لأن معرفة الله تعالى متوسطة بين الإفراط الذي هو التشبيبة وبين التفريط الذي هو التعطيل، فمن بالغ بالإثبات وقع في التشبيبة ومن بالغ في التعطيل وقع في التعطيل والحق هو طريق

(1) لا يوجد فيما لدينا من المراجع.

الاعتدال بين هذين الطرفين المتباينين.

**والسبب الثالث**: من ترك النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى وعوّل على الطريقة التي ألفها بحسه وخياله وقع في الضلالات. وأما من توغل في البحث وأراد الوصول إلى كنه العظمة وهوية الجلالة تحير وتردد بل عمي، فإن نور جلال الإلٰهية ما يعمي أحداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين والطريق المستقيم هو أن يخوض الإنسان البحث المعتدل ويترك التعميق، وإلى هذا الكلام الإشارة بقوله ﷺ: «**تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق**»[1]، فهذه هي الوجوه التي لأجلها سميت كلمة لا إلٰه إلا الله كلمة العدل.

فإن قيل كيف أمر الله بالعدل في بحر التوحيد وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[النساء:129] فمن عجز عن العدل في حق النساء كيف يقدر على العدل في معرفة الأحد الصمد. والجواب أظهر عجزك في الضعيف وأقدرك على الشريف لتعرف أن الكل منه.

**الاسم السادس: الطيب**: من القول قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ وأي كلمة توحيد توجد أطهر وأطيب من هذه الكلمة وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ثم إن النجاسة الحاصلة بسبب كفر سبعين سنة يزول بسبب ذكر هذه الكلمة الطيبة مرة واحدة.

**وتحقيق القول** فيه أن الطيب هو اللذيذ واللذيذ هو إدراك الملائم، وقد بيّنا أن الملائم للقوى الحساسة إدراك المحسوسات، والملائم للقوة العقلية إدراك جلالة الله وقدسه وعزته. إذا عرفت هذا فنقول إدراك القوة العاقلة أقوى من إدراك القوة الحساسة، وسيأتي شرح هذا فيما بعد إن شاء الله تعالى. وأما مدركات القوى الحساسة فهي الأعراض القائمة بالأجسام الكائنة الفاسدة، ومدرك القوة العاقلة هو ذات الله وجلاله وعظمته، وظاهره أنه كلما كان الإدراك أقوى والمدرك أشرف كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الإدراك أشرف وأعلى، فعلى هذا نسبة اللذة العقلية إلى الحسية في الشرف والقوة كنسبة الإدراك العقلي إلى الإدراك الحسي وكنسبة ذات الله تعالى وصفاته في الشرف والتعالي إلى الأعراض القائمة بالأجسام، وكما أنه لا نهاية للنسبة

(1) نسب إلى ابن الشيخ وأغلب الظن أنه في كتاب العظمة، وأنه غير صحيح.

الحاصلة بين هذين الإدراكين وبين هذين المدركين فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة من اللذات العقلية الحاصلة بسبب إدراك المطعوم والروائح وسائر الحواس. وإذا عرفت هذا ظهر أن الطيب المطلوب هو معرفة لا إله إلا الله وذكر لا إله إلا الله، والاستغراق في أنوار جلال لا إله إلا الله فلهذا السبب قال الله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والمراد منه كلمة لا إله إلّا الله والألف واللام في لفظ الطيب للاستغراق كأنه تعالى نبّه أنه لا لذيذ ولا طيب إلا هذا وذلك هو الحق (لأنابينا) أن طيب المحسوسات بالنسبة إلى طيب هذه الحالة عدم محض فلذلك بيَّن بحرف الاستغراق أن كل الطيب ليس إلّا ذلك.

**الاسم السابع: الكلمة الطيبة:** قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ واختلفوا في أنه تعالى لم سماها كلمة طيبة على وجوه:

**الأول:** أنها طيبة بمعنى أنها طاهرة عن التشبيه والتعطيل، ولكنها طريقة متوسطة بينها مباينة لكل واحد منها مصفى عن شائبة كل واحدة منها.

**الثاني:** أنها طيبة بمعنى أن صاحبها يكون طيب الاسم في الدنيا طيب المسكن في العقبى أما طيب اسمه فيقول تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ وأراد به المؤمنين والمؤمنات، وأما طيب المسكن فلقوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

**الثالث:** أنها طيبة بمعنى أنها مقبولة يقبلها الله تعالى ويصعد إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ قال أهل الإشارة والسبب في أن هذه الكلمة تصعد إلى الله تعالى بذاتها لأن هذه الكلمة طيبة وقال ﷺ: **«إن الطيب لا يقبل إلا الطيب»** وتمام التحقيق فيه أن العقل والروح عاشقان على التجلي والمعرفة والمكاشفة على ما سبق تقريره بالبرهان والمعرفة منجذبة إلى المعرفة وإذا تصاعد العرفان إلى المعروف والعارف ملازم للعرفان انجذب العارف إلى المعروف وصعد إليه فذاك هو المراد من قوله عزّ وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

**سؤال: قال المفسرون: الشجرة الطيبة هي النخلة، فما السبب في تشبيه كلمة التوحيد بالنخلة؟ الجواب عنه من وجوه:**

**الأول:** أن شجرة النخلة لا تنبت في جميع البلدان بل في البعض دون البعض،

فكذلك كلمة التوحيد لا تجري على كل لسان ومعرفة التوحيد لا تحصل في كل قلب.

**والثاني**: أن النخلة أطول الأشجار، فكذا كلمة التوحيد أعلى الكلمات.

**والثالث**: أن الشجرة الطيبة ثابتة في الأرض وفرعها في السماء، وكذا أصل الكلمة الطيبة ثابت في القلب وهو المعرفة وفرعها ثابت في السماء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

**والرابع**: أن شجرة النخلة تحمل في كل سنة مرتين كذلك الإيمان يحمل في الدنيا مرة فيثاب لأجل إيمانه وهو أهلية الشهادة والولاية والإمامة ومرة أخرى في الآخرة وهي الجنة الباقية والنعمة الدائمة.

**الخامس**: أن النخلة وإن حصل في وسط ثمرتها نواة ولا منفعة، فإن قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك النواة، فكذلك كلمة التوحيد فإن كان يحصل معها شيء من المعاصي إلا أن قيمتها لا تنتقص بسبب ذلك ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

**والسادس**: أن النخلة أسفلها الذي يقرب من الناس كله شوك والثمرة والمنفعة لا تحصل إلا في أعلاها، فكذلك الدين أوله التكاليف الشاقة التي هي كالشوك وفي أعلاها الثمرة الحلوة اللذيذة وهي المعرفة والمحبة.

**الاسم الثامن: الكلمة الثابتة**: قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وفي علة هذه التسمية وجوه:

**الأول**: أن المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته ممتنع العدم لذاته والقول والاعتقاد تتبعان المقول والمعتقد فلما كان المقول والمعتقد واجب الثبوت لذاته كان القول والاعتقاد فلهذا سماه الله بالقول الثابت.

**الثاني**: أن هذا القول الثابت لا تؤثر فيه الأعمال وذلك إشارة بالقول الثابت إلى الإيمان لا يزداد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية.

**الثالث**: أن هذا القول ثابت لا يؤثر الذنب فيه بل هو مؤثر في إزالة الذنب

لأن الموحّد وإن عظم ذنبه إلا أنه يرجو المغفرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:48] والكافر وإن عظم كفره فإذا رجع عن الكفر إلى توحيد هدم التوحيد كفره.

**الرابع**: أنّ هذه الكلمة ثابتة في الآخرة لا ترتفع عن العبد وذلك لأن أهل الجنة مشتغلون في الجنة بذكر التوحيد، ألا ترى أن الله أخبر عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:34] ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: 43].

**الخامس**: أنها ثابتة؛ لأنّ لها أصلاً محكماً؛ وذلك أنّ أول من شهد هذه الشهادة هو الله تعالى بدليل قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله فرع على شهادة الله، وشهادته هي الأصل وكل شهادة أصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا والآخرة.

**السادس**: أن الإنسان بدون هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار، ومع هذه الكلمة لا يعمل فيه الماء والنار، أمّا بيان أن الإنسان بدون هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار، أنّ فرعون أغرق في الماء أولاً ثم نقل من الماء إلى النار: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [1]، وعجل السامري إحراق بالنار أولاً ثم نقل من النار إلى الماء: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97].

وأمّا [بيان أن الإنسان مع هذه الكلمة لا يعمل فيه الماء والنار فهو] إبراهيم وموسى؛ فقد كانا مع حقيقة هذه الكلمة ولم تعمل النار في إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: 69]، ولم يعمل الماء في موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7].

**الاسم التاسع: كلمة التقوى**: قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: 26] وفي سبب هذه التسمية وجوه:

**الأول**: أنّه لما اتقى صاحب هذه الكلمة أن يصف ربّه بما وصفه به المشركون

(1) ويلاحظ أن المغرقين المدخلين النار هم قوم نوح، ولا علاقة للآية بفرعون.

وصف هذه الكلمة بأنها كلمة التقوى، ورأس التقوى اتقاء الكفر.

ثم في هذه الآية إشارة وبشارة:

**أما الإشارة:** فهي أنه تعالى سمى نفسه أهل التقوى فقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المدثر: 56] وسمى الموحدين أهل كلمة التقوى فقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فكأنه تعالى يقول: أنا أهل أن أكون مذكوراً بهذه الكلمة، وأنت أهل أن تكون ذاكراً لهذه الكلمة فما أعظم هذا الشرف.

**وأمّا البشارة:** فهي أنه تعالى قال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ فأثبت أن الموحدين أحقّ الخلق بهذه الكلمة وهم أهل هذه الكلمة وأنه كريم لا ينزع الحق عن مستحقه فهذا يدل على أنه لا ينزل الإيمان من المؤمن.

**الوجه الثاني:** في بيان أنّه لِمَ سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى، هو أن هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف، ولِمَالِك عن الاستغنام ولذمتك عن الجزية ولأولادك عن السبي، فإن انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر وإن انضمّ التوفيق إليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي ثم قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي نحن ألزمناهم هذه الكلمة التي هي المفتاح لباب الجنة، فنحن أردناهم أولاً وهم ما أرادونا فلنا المِنّة في فتح هذا الباب.

وتقريره قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: 17]

**الاسم العاشر: الكلمة الباقية:** روي عن كثير من المفسرين أنّهم قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 28] أنها قول لا إله إلا الله، ويدل عليه وجوه:

**الأول:** مقدمة هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: 26-27] فكان معنى قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ نفي الإلٰهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فكان فيه إثبات الإلٰهية للذي فطره؛ فإذا حصل هذان المعنيان كان مجموعها هو قول: لا إله إلاّ الله، ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ فثبت أن المُراد من الكلمة الباقية هو قول: لا إله إلاّ الله.

**الثاني**: أنه تعالى قال في آخر القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] فبيّن أن كل شيء هالك إلا هو فإنه واجب الدوام والبقاء والسرمديّة، وقد عرفت أن القول يتبع المقول والاعتقاد يتبع المعتقد فكان صدق لا إله إلا الله وحقيقة لا إله إلا الله واجب الثبوت والبقاء والدوام وذلك هو المراد بكونها باقية.

**الثالث**: أنا بيّنا أن التوحيد لا يزول بسبب المعصية والمعصية تزول بسبب التوحيد، وأيضاً يبقى مع أهل الجنة وسائر الطاعات لا تبقى روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام: «**يقول الله يوم القيامة: ما لي أرى فلاناً في صفوف أهل النار؟ فأقول: يا ربّ إنّا لم نجد له حسنة، فيقول الله تعالى: إني سمعته في الدنيا يقول: يا حنّان يا منّان فاذهبْ إليه فاسأله، فيأتيه فيجده في زاوية من زوايا جهنّم يقول: يا حنّان يا منّان فيسأله جبريل عن هذه الكلمة فيقول: وهل حنّان ومنّان غير الله؟! قال جبريل: فآخذ بيده أخرجه من صفوف أهل النار فأدخله في صفوف أهل الجنة**»[1].

**الاسم الحادي عشر: كلمة اللّه العليا**: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

واعلم أن السبب في علو هذه الكلمة وجوه:

**الأول**: هو أن القلب إذا تجلى فيه نور هذه الكلمة كان ذلك التجلي نور الربوبيّة، ونور الربوبية إذا تجلى في القلب استعقب حصول قوة إلٰهية بالله ولهذا السبب فإن العارفين المستغرقين في أنوار جلال الله يستحقرون الأحوال الدنيوية، فيستحقرون عظماء الملوك ولا يبالون بالقتل ولا يقيمون لشيء من طيبات الدّنيا وزناً ألبتّة؛ فكل ذلك يدل على استعلاء قوة هذه الكلمة على جميع الأشياء؛ فإن سلطان كل شيء يضمَحِلّ في سلطان جلال هذه الكلمة. انظر إلى استغراق سحرة فرعون لمّا تجلى لهم نور هذه الكلمة كيف لم يلتفتوا إلى قطع الأيدي والأرجل؟! وأن محمداً لما استغرق في هذا النور لم يلتفت إلى الملكوت كما قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: 17]. روي أن إبراهيم الخواص كان في البادية فظهر عليه شيء من هذه

(1) نسبه السيوطي في الجامع الكبير إلى الحكيم الترمذي في النوادر، وهو لا يصح على قاعدة السيوطي، لكنه في حديث أنس عند البيهقي في الأسماء والصفات ما يشبهه.

الأحوال، فاضطجع وجاءته السباع وأحاطوا به وما كان يبالي بها فخاف صاحبه الذي كان معه وصعد بعض تلك الأشجار وبقي هناك جائعاً، وفي الليلة الثانية زال ذلك الوجد فوقعت بعوضة على يده فتألّم وأظهر الجزع فقال صاحبه: ما جزعت في البارحة من حضور السباع وأظهرت في هذه الليلة من البعوضة، فقال إبراهيم:

«كان في البارحة نزل في القلب سلطان، فبقوة ذلك السلطان ما كنت أبالي بجميع الملكوت، وأمّا الآن فقد غاب عني ذلك السلطان فظهر العجز كما ترى».

**السبب الثاني**: في كون هذه الكلمة عالية استعلاؤها في الدنيا على سائر الأديان كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: 33].

**السبب الثالث**: في استعلائها كونها مستعلية على جميع الذنوب فإنها تزيل جميع الذنوب، وشيء من الذنوب لا يزيل هذه الكلمة.

**الاسم الثاني عشر: المثل الأعلى**: قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60] قال[1]: معناه قوله لا إله إلا الله.

واعلم أنّ معنى المثل هنا الصفة، كذا قال أهل اللغة ونظيره قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: 35] أي صفتها فصار المراد[2] من قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عين المراد من قوله: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾.

**الاسم الثالث عشر[3]: كلمة السواء**: قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64].

قال أبو العالية الرياحي: هي كلمة لا إله إلاّ الله، والدليل عليه أنه تعالى قال بعدها:

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 64] ولا معنى لهذه الآية إلا ما هو المراد من قولنا: لا إله إلاّ الله، فثبت أن المُراد من كلمة السّواء هي كلمة لا إله إلاّ الله.

---

(1) قال معناه في (ب) قال قتادة معناه.

(2) فصار المراد في (ب) والمراد.

(3) الاسم الثالث عشر من هنا إلى قوله أحدها ما روى جابر بن عبد الله ساقط من (ب).

وممّا يقرر ذلك أن جميع العقول معترفة بصحة لا إله إلّا الله وجميع الألسنة ناطقة بها وجميع الرقاب مُتخضِعة لها، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: 87].

وأيضاً يحتمل أنها سميت بكلمة السواء لأنها تفيد الاستواء في الدين والعقل والروح ويوجب الاستقامة وترك الاعوجاج في كل الأمور والله أعلم.

**الاسم الرابع عشر: أنها كلمة النجاة:** والذي يدل عليه القرآن والحديث والمعقول، أما القرآن فمن وجهين:

**الأول:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:116] فهذه الآية صريحة في أن النجاة لا تحصل بدون الإيمان بلا إله إلا الله وتحصل مع الإيمان بلا إله إلا الله.

**والثاني:** قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: 41] [أي] إلى قول لا إله إلّا الله. وأما الخبر فيدل عليه الأخبار التي ذكرناها في الفصل الثاني ونزدها هنا أخباراً أخر:

**أحدها:** ما روي عن جابر بن عبد الله قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الموحدين[1] فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: **«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار[2]»**.

**ثانيها[3]:** عن أبي سعيد الخدري قال ﷺ: **«لقّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله[4]»**.

---

(1) الموحدين في (ب) الموجبتين.

(2) رواه مسلم (93).

(3) ثانيها: من هنا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ إلخ ساقط من (أ).

(4) رواه مسلم (3117)، والترمذي (983)، والنسائي (4/ 5)، وابن ماجه (1445)، وأحمد (3/ 3)، وابن أبي شيبة في المصنف (4/ 75)، والبيهقي (3/ 383)، والبغوي في شرح السنة (1465) وليس عندهم «شهادة أن» وهو عندهم من حديث أبي سعيد ورواه مسلم (917)، وابن ماجه (1444)، وابن الجارود في المنتقى (256)، وابن حبان (719/ موارد) والبيهقي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي (514) من حديث عائشة.

**ثالثها**: رأى عمر بن الخطاب طلحة بن عبد الله ثقيلاً مغموماً بعد موت رسول الله ﷺ فقال: ما لك؟ قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ما منعني أن أسأله إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: «**إن أعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه ونفّس الله بسببها كربته**» فقال عمر: (إني أعلم ما قال، قال: وما هي؟ قال: هي الكلمة التي أمر بها عمّه عند الموت وهي لا إله إلاّ الله، فقال طلحة: صدقت هي والله هي).

**رابعها**: روى أبو أمامة قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ينادي في الناس: من شَهِد أن لا إله إلاّ الله دخل الجنة[1].

**خامسها**: قال معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة: اكشفوا عني سجف القبة حتى أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلموا[2] ويزكوا النار.

**سادسها**: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يجري بها لسانه ويطهّر بهما قلبه حرمت النار عليه**[3]».

**سابعها**: روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي الدرداء: «**ناد في الناس من شهد أن لا إله إلاّ الله وجبت له الجنة**» قال أبو الدرداء: وإن زنا وإن سرق؟ قال: «**وإن زنا وإن سرق**». قال: وإن زنا وإن سرق؟ قال «**وإن زنا وإن سرق**»، قال: وإن زنا وإن سرق؟ حتى قالها ثلاث مرّات فقال في الثالثة: «**وإن. . . . رغم أنف أبي الدرداء**». [4]

**ثامنها**: ما روى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان آخر كلامه**

---

= وورد لفظ «شهان أن» في حديث ضعيف عند الطبراني في الكبير (13024) من حديث ابن عباس.

(1) رواه أبو يعلى (105) من حديث أبي بكر بإسناد ضعيف ونسبه السيوطي في الجامع الكبير إلى ابن عساكر، وله شاهد في حديث أبي هريرة عند مسلم (31)، وابن حبّان (7/ موارد) من حديث جابر.

(2) توجد على هامش (أ) عبارة (هنا سقط من الأم) والظاهر أن الناسخ لم يجد ما يكمل هذا الخبر.

(3) لم نره من حديث أبي قتادة، وهو عن عبادة عند مسلم (29)، وأحمد والترمذي (2639) بلفظ مغاير.

(4) هو عند الطبراني من حديث أبي الدرداء، انظر فتح الباري (11/ 261ـ265) كتاب الرقاق، باب: المكثرون هم الأقلون وتغليق التعليق (5/ 165 ـ 167) لابن حجر.

لا إله إلاّ الله وفاضت نفسه بعده دخل الجنة[1]».

**الاسم الخامس عشر: العهد:** قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: 87] العهد هو قول: لا إله إلا الله. وأقول: الذي يدل على صحة قول ابن عباس وجوه:

**الأول**: أن قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ نكرة في ظرف الثبوت، وذلك لا تفيد إلا عهداً واحداً، فهذه الآية تدل على أن تلك الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد، ثم أجمعنا على أن ما سوى الإيمان.. فإن الواحد منه بل مجموعه لا تفيد تلك الشفاعة ألبتة، فوجب أن يكون ذلك العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة هو الإيمان وقول لا إله إلاّ الله.

**والثاني**: أن جماعة من المفسّرين قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40] هو عهد الإيمان بدليل أن[2] لفظ العهد مجمل فلما أعقبه بقوله: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 41] علمنا أن المراد من ذلك العهد هو الإيمان، وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

**والثالث**[3]: أن أول ما وقع من العهد قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ وذلك في الحقيقة هو قول لا إله إلاّ الله فكان لفظ العهد محمولاً عليه.

**والرابع**: أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 111] فكان العهد من جانبك عهد الإقرار بالعبوديّة ومن جانب الحق ﷻ عهد الكرم والربوبية فثبت بهذه الوجوه أن المراد من قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:87] وهو عهد قول لا إله إلا الله.

**الخامس**: قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: 80] أي: قلتم لا إله إلاّ الله.

**الاسم السادس عشر: كلمة الاستقامة:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا

(1) رواه أحمد (5/ 233)، وأبو داود (3116)، والحاكم (1/ 351) ولكن ليس عندهم: «وفاضت نفسه بعد».
(2) أن ساقط من (ب).
(3) والثالث من هنا إلى قوله أن قيل ما الحكمة ساقط من (ب).

﴿ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: 30] هو قول لا إله إلا الله وذلك لأن قولهم ربنا الله إقرار بوجود الرب ثم إن [من] المقرين بذلك من أثبت له ندًا وشريكاً، فالذين نفوا الشركاء والأضداد هم الذين استقاموا على النهج القويم والصراط المستقيم. واعلم أن القيام في القيامة بقدر الاستقامة في نفي الشركاء. قال ابن مسعود: المراد من قوله استقاموا نفي الشركاء فمن الناس من أثبت الشريك ظاهراً وهو الشريك الظاهر فالاستقامة في الدين لا تحصل إلا بنفي الشركاء كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] ومنهم من أقرّ بالوحدانية في الظاهر إلا أنه يقول قولاً يهدم ذلك التوحيد مثل أن يضيف السعادة والنحوسة إلى الكواكب أو يضيف الصحة والسقم إلى الدواء والغذاء أو يضيف الفعل إلى العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك يبطل الاستقامة في معرفة الحق ﷻ ومنهم من ترك كل ذلك ولكن قد يُطيع النفس والشهوة في بعض الأفعال وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: 43] وهذا النوع من الشرك وهو المسمى بالشرك الخفي. والمراد من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: 128] وقول يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [يوسف: 101] فإن الأنبياء مبرّؤون عن الشرك الجلي، أما الحالة المسمّاة بالشرك الخفي وهو الالتفات إلى غير الله فالبشر لا ينفك عنه في جميع الأوقات. فلهذا السبب يضّرع الأنبياء والرسل إلى الله في أن يصونهم عنه.

**الاسم السابع عشر: مقاليد السماوات والأرض:** قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: 63] قال ابن عباس: هو قول لا إله إلا الله وأقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه:

**الأول:** أنه تعالى بيّن أنه لو كان في الوجود إلٰهان لحصل الفساد في العالم ولاختلت المصالح، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] فثبت أن الشريك سبب لفساد العالم وأن التوحيد سببب لانتظام أمر العالم فثبت أن مقاليد السمٰوات والأرض هو قول لا إله إلا الله.

**الثاني:** أنّا بيّنا أن الشرك سبب لفساد العالم بدليل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: 90 - 91] وإذا كان كذلك كان التوحيد سبباً لعمارة العالم.

**الثالث:** أن أبواب السماء لا تنفتح إلا بقول لا إله إلاّ الله وأبواب الجنان لا

تنفتح إلا بهذا القول، وأبواب النيران لا تنغلق إلّا بهذا القول، وباب القلب لا ينفتح إلا بهذه الكلمات، وأنواع الوسائس لا تندفع إلا بهذا القول، فكانت هذه الكلمة أشرف مقاليد السمٰوات والأرض وعزّ مفاتيح الأرواح والنفوس والأجسام والعقول.

**الاسم الثامن عشر: السديد:** قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: 70].

**قيل في تفسيره:** الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل كالسميع بمعنى السامع، وقد يكون بمعنى المفعول كالقتيل بمعنى المقتول والجريح بمعنى المجروح، وإذا حملته على معنى الفاعل كان معناه أنه يسدّ على صاحبه أبواب جهنم، وإذا حملته على معنى المفعول كان معناه أنه يسد عن أن يضره شيء من الذنب، وأيضاً أن ذا القرنين بنى السد دفعاً لضرر يأجوج ومأجوج والله تعالى جعل الإيمان سدًّا لضرر الشياطين من الجن والإنس.

**الاسم التاسع عشر: البر:** قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: 177] والإشارة في الآية أن من كان مشتغلاً بجميع الجوانب والجهات لم يكن صاحب البر وإنما صاحب البر هو الذي يتوجه إلى الكعبة ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 79].

فقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ إشارة إلى الكثرة والقول بالشركاء، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إشارة إلى التوحيد فصار معناه هو المفهوم من قولنا لا إله إلّا الله.

**الاسم العشرون: الدين:** قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3] واعلم أن الدين هو الانقياد والخضوع، قال عليه أفضل السلام في دعواته: «**من دانت له الرقاب**» أي: خضعت، فقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ أي له الخضوع والخشوع لا لغيره وإنما يكون كذلك إذا كان واحداً في إلٰهيته إذ لو وجد إلٰهان لكان كما أن الخضوع حاصل لأحدهما، كان أيضاً حاصلاً للثاني فحينئذ لا يمكن حصر ثبوت الخضوع لله فقط، فالحصر دل على أنه لا إله إلّا هو ولا معبود إلّا إياه.

**الاسم الحادي والعشرون: الصراط:** قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال تعالى حكاية عن رسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ و﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ واعلم أن هذا الصراط المستقيم هو قول لا إله إلا الله وذلك باعتبار أن حدوث كل محدث وإمكان كل ممكن يحوجه إلى المؤثر الذي يوجده وينقله من العدم إلى الوجود فإذا كان الموحد والمدبر واحداً، فمتى نسبت حدوث المحدثات أو وجود الممكنات إلى قدرته كان ذلك صراطاً مستقيماً وطريقاً قيماً.

ومتى نسبت حدوث محدث أو وجود ممكن إلى غير قدرته كان ذلك طريقاً معوجاً وسبباً منحرفاً، فثبت أن الصراط المستقيم لا يحصل إلا بإسناد كل الحوادث والممكنات إلى تخليق الله وتكويناته وإسناد الكل إليه، فهو التوحيد فثبت أن الصراط المستقيم هو قولنا لا إله إلاّ الله.

**الاسم الثاني والعشرون: كلمة الحق:** لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف:86] يعني قول لا إله إلاّ الله.

**الاسم الثالث والعشرون: العروة الوثقى:** قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ يعني لا إله إلاّ الله.

**الاسم الرابع والعشرون: كلمة الصدق:** لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

فهذا جملة الكلام في أسماء قول لا إله إلاّ الله اللهم بحق أسمائك الطاهرة المطهرة المقدسة احفظ بحفظك معرفة هذه الكلمة في قلوبنا وذكرها على ألسنتنا يا أرحم الراحمين.

# الفصل الرابع:
# في الأشياء التي شبه الله تعالى كلمة التوحيد بها

**فالأول**: أن الله تعالى شبَّه الإيمان بالنار فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:17] وقال في آية أخرى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ [الرعد:17] وفيه إشارتان: **الأولى**: كما أن النار إذا عرضت عليها الذهب المغشوش أحرقت كل ما فيه من الغش ويبقى جوهر الذهب سليماً عن الاحتراق، فكذلك يوم القيامة إذا عرض المذنب على نار جهنم احترقت ذنوبه ومعاصيه وبقي إيمانه سليماً عن الاحتراق.

**الثانية**: أن النار تحرق كل شيء، فكذا الإيمان إذا قوي نوره أحرق ما سوى الله على القلب: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:91].

**النوع الثاني**: من الأمور التي شبه الله الإيمان بها: النور، قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾.. إلخ والسبب أنه أضاف المعرفة إلى نفسه من وجوه:

**الأول**: أنه أضاف المعرفة إلى نفسه قطعاً للأطماع عنها، وذلك أنها جوهرة نفيسة وقيمتها رفيعة وصاحبها عاقل، والشيطان مختار مكّار ويحل مقصوده أن يأخذ المعرفة من القلب العارف ويحول بينه وبينه، فالله سبحانه برحمته جعل المعرفة في حمايته حتى ينقطع طمع إبليس عنها وتحقيقه أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ ولما أضاف العباد إلى نفسه انقطع طمع إبليس عنهم فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:82-83] فهاهنا لما أضاف الإيمان إلى نفسه بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ لا جرم كان طمع إبليس منقطعاً عنه.

**الثاني**: أن كلّ ما للعبد فهو للحق، لأنه حصل بتخليقه وإيجاده فإذا بلغ العبد درجات المكاشفات إلى أن شاهد هذه الحالة فقد كملت حالته وعظمت درجته فعند ذلك قيل كل ما له فهو لنا، وكل ما لنا فهو له، فالمعرفة التي هي له فهي لنا فلا جرم أنه أضافها إلى نفسه فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾.

**الثالث**: أن تخصيص الشيء بإضافته إلى الله سبحانه سبب لتشريفه كما في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج:26] وكما في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [هود:64] وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن:19] فكذا هاهنا إضافة المعرفة إلى نفسه يدل على أنها أشرف الخلع والتشريفات. ثم هاهنا سؤالان:

**السؤال الأول: ما الحكمة في أن الله سبحانه شبه نور المعرفة بنور السراج؟.**

قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:35] الجواب من وجوه:

**الأول**: أن البيت إذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة أن يفتضح، وكذلك القلب إذا كان فيه سراج المعرفة لم يتجاسر الشيطان على دخوله مخافة أن يفتضح.

**الثاني**: أن البيت إذا كان فيه[1] سراج اهتدى صاحبه إلى طلب الأمتعة ،وكذلك القلب إذا كان فيه سراج المعرفة اهتدى صاحبه إلى الشروع في الطاعات.

**والثالث**: إذا كان السراج في البيت انتفع بضيائه كل أحد من غير أن ينقص من استضاءة صاحبه بنوره شيء، فكذلك كل قلب كان فيه سراج المعرفة ينتفع بنوره غير صاحبه من غير أن ينقص من نور صاحبه شيء.

**الرابع**: أن السراج إذا كان في البيت وكان موضوعاً في كوة مسدودة بزجاجة أضاء داخل البيت وخارجه، فكذلك سراج المعرفة في القلب يضيء داخل القلب وخارجه حتى يظهر نوره على الأذنين والعينين واللسان، فيظهر فنون الطاعات من هذه الأعضاء. وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وفي عظمي نوراً وفي مخي نوراً**».

**الخامس**: أن البيت إذا كان فيه سراج كان صاحبه مستأنساً مسروراً، فإذا أطفىء السراج صار مستوحشاً، فكذا القلب ما دام فيه سراج المعرفة كان صاحبه مستأنساً مسروراً، وإذا فارقه ـ والعياذ بالله ـ صار حزيناً مغموماً، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:125].

---

(1) من هنا إلى قوله أن قيل ما الفرق بين سراج الدنيا. . . إلخ. ساقط من (ب).

**السادس**: أن جرم السراج صغير وضوؤه منتشر في كل جانب، وكذلك ضوء المعرفة ينتشر من القلب إلى جميع الجوانب كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ وخصوصاً من جانب العلو قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

**السؤال الثاني: ما الفرق بين سراج الدنيا الذي هو الشمس وبين سراج المعرفة؟**

الجواب ـ والله أعلم[1] ـ الفرق من وجوه:

**الأول**: أن الشمس تحجبها غمامة والمعرفة لا تحجبها سبع سمٰوات.

**الثاني**: أن الشمس تغيب في الليل[2]، والمعرفة لا تغيب ليلاً ولا نهاراً بل هي في الليل آكد قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:6][3] وقال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ وقال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

**والثالث**: أن الشمس تفنى قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:1]، والمعرفة لا تفنى قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا ما حصل برضاه.

**الرابع**: الشمس تنكسف والمعرفة لا تنكسف.

**الخامس**: الشمس تسوِّد الأشياء والمعرفة تبيضها.

**السادس**: الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الحرق.

**السابع**: الشمس تارة تضر وتارة تنفع، والمعرفة تنفع ولا تضر البتة.

**الثامن**: الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدنيا والآخرة.

**التاسع**: الشمس في السماء زينة لأهل الأرض والمعرفة في الأرض زينة لأهل السماء[4].

---

(1) في (ب) والجواب من وجوه.
(2) في الليل، في (ب) بالليل.
(3) من هنا إلى قوله التاسع الشمس في السماء زينة ساقط من (ب).
(4) من هنا إلى قوله الثالث عشر ولاية الشمس في الدنيا ساقط من (ب).

**العاشر**: [الشمس] في الفوق وهي تضيء ما تحت، والمعرفة في قلب المؤمن وهو في التحت وتضيء ما فوقه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:10].

**الحادي عشر**: بالشمس ينكشف وجود الخلق، وبالمعرفة ينكشف وجود الخالق. والدليل عليه قول أمير المؤمنين علي ﷺ حين قيل له: هل رأيت ربك؟ فقال: لا أعبد رباً لم أره.

**الثاني عشر**: الشمس يقع نورها على الولي والعدو، والمعرفة ليست إلا للولي.

**الثالث عشر**: ولأن الشمس في الدنيا دون الآخرة. وأما المعرفة فإنها في الدنيا ذات بداية وفي الآخرة ذات ولاية، وأيضاً فإن الكواكب مصباح الخلق والمعرفة مصباح الحق، وأيضاً فإن شعاع الكواكب ينزل إلى الأسفل[1] وشعاع المعرفة يصعد إلى العلو، وأيضاً فإن الكواكب تطلع من خزانة الفلك والمعرفة تطلع من خزانة الملك، وأيضاً فإن الكواكب علامة والمعرفة كرامة، وأيضاً فإن الكواكب[2] موضع نظر المخلوقين والمعرفة موضع نظر ربّ العالمين؛ قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

**السؤال الثالث**[3]: **ما الفرق بين السّراج والمعرفة؟** والجواب من وجوه:

**الأول**: أن سراج الدنيا نوره مشوب بالظلمة، وهي الدخان الذي يعلوه، وسراج المعرفة نوره صاف لا ظلمة معه.

**الثاني**: أن سراج الدنيا يحرق نفسه لينتفع به غيره، وسراج المعرفة يحرق الذّنب ويروّح السرَّ وينوّر الصّدر.

**الثالث**: أن سراج الدنيا يضمحِل في نور الشمس، وأمّا سراج المعرفة والتوحيد فإنّه يضمحِل نور الشمس في نوره.

**الرابع**: أن سراج الدنيا لا وفاء له يحرق من أوقده ومن أمدّه بالفتيلة كما يحرق من لم يوقده ومن لم يمده بشيء، وسراج المعرفة ذو وفاء لا يحرق صاحبه ألبتة بل ينجيه من الحرق، فشتان ما بين السّراجين.

---

(1) الأسفل في (ب) أسفل.
(2) الكواكب في (ب) الكوكب.
(3) السؤال الثالث: من هنا إلى قوله روي أن معرفة العارف ساقط من (ب).

**السؤال الرابع: ما الحكمة في تشبيه المعرفة بالمصباح؟**

الجواب: وبالله التوفيق ـ من وجوه:

**الأول**: أنّ المصباح تضرّه الرياح، والمعرفة تضرّها الوساوس والشبهات.

**الثاني**: أن المصباح لا تبقى بغير الدهن، والمعرفة تبقى بغير الدهن.

**الثالث**: لا بد للمصباح من حافظ يتعهده ولا بدّ لمصباح المعرفة من متعهد وهو فضل الله ورحمته.

**السؤال الخامس: ما الحكمة في تشبيه القلب بالزجاجة؟**

وهلاّ شبّهه بالذهب والفضة فإنهما أعزّ من الزجاجة، والجواب من وجوه:

**الأول**: أن الذهب والفضة وإن كانا نفيسين رفيعين إلا أنّهما كثيفان يوقعان الحجاب، والزجاجة وإن كانت قليلة القيمة إلا أنها لطيفة صافية لا يوقع الحجاب؛ فإنه يُرى باطنها من ظاهرها وبالضد، والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب لا لوضعه.

**الثاني**: أنه ليس لآنية الزجاجة خطر إنما الخطر لما في الآنية، وكذا ليس لقلبك خطر إنّما الخطر للإيمان.

**الثالث**: إذا انكسرت الزجاجة[1] لم تصلح إلاّ بإدخال النار والإذابة، وكذا القلب إذا فسد لا يصلح إلاّ بإدخال النار والإذابة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71].

**الرابع**: أن صاحب الذهب والفضة لا يخاف كسر[ما][2] لعلمه أن قيمتها لا تبطل بسبب الانكسار. أما صاحب الزجاجة فإنه يكون على حذر ووجل لعلمه بأنّها إذا انكسرت بطلت قيمتها، وكذلك المؤمن ينبغي أن يكون على حذر ووجل كصاحب الزجاجة ولا يكون على أمن وسكون كصاحب الذهب والفضة.

**والخامس**: شبهه بالزجاجة لأن النور في[3] الزجاجة أحسن وأتم ضياء منه في

---

(1) لم في الأصل ولم.
(2) كسرهما: في الأصل كسرها.
(3) في: في هامس (أ) (من) كنسخة ثانية.

الذهب والفضة؛ فالزجاجة لقلة قيمتها واستعدادها للانكسار والبطلان صار النور فيها أحسن، وهو إشارة إلى قوله: (**أنا عند المنكسرة قلوبهم**).

**السؤال السادس: ما الحكمة في تشبيه تلك الزجاجة بالكوكب الدري؟**

الجواب من وجوه؟.

**الأوّل**: أن الكوكب الدرّي فيه لأهل الأرض هداية كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: 16] ولأهل السماء زينة قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات: 6] فكذا قلب المؤمن سبب لهداية صاحب القلب إلى الخيرات وأيضاً نزهة لأهل السّماء فإنه روي: (أن معرفة العارف تضيء لأهل السّماء كما يضيء الكوكب الدّري لأهل الأرض).

**الثاني**[1]: أن الكوكب لا قدرة للشيطان عليه بل الكواكب[2] تحرق الشيطان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: 5] فكذا هاهنا قلب المؤمن لا سبيل للشيطان عليه بل نور قلبه وإيمانه يحرق الشيطان ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ ولم يقل في قلوب الناس وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: 201]. وذلك التذكير هو ظهور نور الإيمان وقوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ إشارة إلى احتراق وساوس الشيطان.

**السؤال السابع**[3]: **ما الحكمة في أنّه شبه القلب بالكوكب لا بالشمس والقمر؟** والجواب من وجوه:

**الأوّل**: أن الكوكب يستتر بالنهار ويظهر بالليل، والعارف مستور بالنهار فإذا أظلم الليل ظهر بالخدمة والتضرع.

**الثاني**: أن الكوكب زينة السماء والقلب زينة العارف.

**الثالث**: أن الكواكب مصابيح السّماء: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ والقلب

---

(1) والثاني في (ب) وأيضاً.
(2) الكواكب في (ب) الكوكب.
(3) السؤال السابع من هنا إلى قوله: السادس من أراد أن يستوقد، ساقط من (ب).

مصباح العارف قال تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35].

**السؤال الثامن: هل في تشبيه الإيمان بالسراج بشارة لأهل الإيمان؟**

الجواب نعم لوجوه:

**الأول**: أن الشمس سراج استوقده الله للفناء ثم لا يقدر أحد على إطفائه، والمعرفة سراج استوقده للبقاء فكيف يقدر إبليس على إطفائه؟!

**الثاني**: استوقد الله سراج الشمس في السّماء فهي تزيل الظلمة عن بيتك مع غاية البعد فإذا استوقد شمس المعرفة في قلبك [أفلا][1] تزيل ظلمة المعصية عنك.

**الثالث**: من استوقد سراجاً فعليه تعهّده، والله هو الموقد لسُرُج المعرفة قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: 22] فلا جرم إمداد رحمته وعواطف تعهده حافظة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

**الرابع**: اللص إذا رأى السراج في البيت مستوقداً لا يقصد ذلك البيت بالسرقة، والله تعالى أوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقدر الشيطان من القرب منك؟!

**الخامس**: المجوس أوقدوا ناراً فلا يريدون إطفاءها، فالملك القدوس أوقد نار المحبة والمعرفة فكيف يرضى بإبطالها وإطفائها؟!

**السادس**: من أراد أن يستوقد سراجاً احتاج إلى سبعة أشياء: زند وحجر وحرّاق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن؛ فالعبد إذا طلب سراج المعرفة فلا بد له من زند الجهاد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [العنكبوت: 69] وحجر التضرع: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ [الأعراف: 55] وأمّا الحرّاق فهو (حرّاق)[2] النفس بمنعها من شهواتها قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: 40] والرابع[3] كبريت الإنابة: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: 54] والخامس مسرجة الصبر: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46] والسادس فتيلة الشكر: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: 114]، السابع دهن الرّضا بقضاء الله قال

---

(1) [أفلا] في الأصل فلا.

(2) [حراق] في الأصلين [أحراق] حذفنا الهمزة لتصحيح الحمل.

(3) والرابع هذه الكلمة ساقط من (ب) ككلمات الخامس والسادس والسابع.

تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: 48]، وقال ﷺ: «**الرضا بالقضا باب الله الأعظم**» فهذه السبعة تتعلق بك في حفظ عهد العبودية فإذا وفيت بعهد العبودية فهو[1] أولى أن يفي بعهد الربوبية كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ فيحفظ هذه المعرفة في قلبك وهذا الذكر في لسانك ويجعلها نوراً باقياً معك في القبر والظلمات والقيامة[2].

**النوع الثالث**[3]: من الأمور التي شبه الله الإيمان بها التراب؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: 58].

**ووجه المشابهة أن التراب ذو أمانة**: من أودع فيه شيئاً أسلم إليه أضعافه، قال الله تعالى: ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: 261] وكذا المؤمن إذا عمل عملاً سلّم الله إليه أضعاف ذلك العمل يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

**الثاني**: من خاصية الأرض أنّه يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها مليح، فكذا أرض الإيمان يطرح عليها قبائح الكفر والذنوب ثم يخرج منها ثمرات المغفرة والرحمة والرضوان: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ [الفرقان: 70].

**الثالث**: من خاصية الأرض أنّها كالأم الحاضنة لك؛ فهي لك كالمهد، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف: 10] أو كالخزانة لك: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29] وكالأم المشفقة عليك: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55] وكذلك الإيمان منه يحصل جميع منافعك في الدنيا والعقبى.

**النوع الرابع**: من الأشياء التي شبّه الله بها القرآن والإيمان: الماء، قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ﴾ [الرعد: 17] أي: الإيمان والكفر فالزبد الكفر، والماء الإيمان.

وفي تقرير وجه المشابهة أوجه:

---

(1) فهو في (ب) وهو.

(2) والظلمات والقيامة في (ب) وظلمات القيامة.

(3) النوع الثالث: من هنا إلى قوله وشبه الله تعالى القرآن بالمطر ساقط من (ب).

**الأول**: أن الماء يزيل النجاسة والأوساخ من البدن والثياب: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48]، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: 4] وكذلك الإيمان يزيل نجاسة الكفر والمعصية عن القلب قال ﷺ: «**الإسلام يَجبُّ ما قبله**».

**الثاني**: أن الله تعالى سمّى الماء المنزل رحمة قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الأعراف: 57] وسمّى القرآن رحمة فقال: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57] وجعل الإيمان رحمة وسبباً للرحمة فقال: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: 22] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54] فلا جرم شبّه القرآن والإيمان بالماء لهذا السبب.

**الثالث**: أنه تعالى سمّى القرآن مباركاً فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 50] وقال في الماء: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: 9] فلا جرم شبه القرآن بالماء لكون كل واحد منهما مباركاً.

**الرابع**: أن الماء شفاء للنفوس والقرآن شفاء للقلوب قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] فهو شفاء لقلوبهم ورحمة لذنوبهم.

**الخامس**: كما أنه تعالى هو الذي تولّى إنزال الماء من السماء ولا يقدر عليه أحد سواه فكذلك هو الذي تولى إنزال القرآن ولا يقدر عليه أحد غيره.

**السادس**: كما أن الله تعالى إذا أنزل المطر من السماء لم يقدر أحد على دفعه فكذلك لما أنزل القرآن من السماء لم يقدر أحد على دفعه وإدخال الباطل عليه﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [فصلت: 41 - 42].

**السابع**:[1] [كما] أن المطر لا يقدر مخلوق أن يحصي عدد قطراته فكذلك القرآن لا يحيط أحد بكمال أسراره ولطائف حقائقه.

**الثامن**: كما أن المطر ينزل من السماء قطرة قطرة ثم يسيل في الأرض نهراً نهراً وبحراً بحراً، فكذلك القرآن تنزل من السماء آية آية نجماً نجماً ثم صار المجموع أنهاراً وبحاراً وفي الخبر أن القرآن بحر عميق لا يدرك قعره.

---

(1) السابع من هنا إلى قوله قيل لا يستكمل العبد إلخ ساقط.

**التاسع**: كما أن المطر لو نزل من السماء دفعة واحدة لقلع الأشجار وخرّب الديار وكان الفساد فيه أكثر من الصلاح فكذلك القرآن لو نزل جملة واحدة لضلت فيه الأفهام ولتاهت فيه الأوهام قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 21].

**العاشر**: كما أن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها بالمطر فكذلك أحيا القلوب الميتة بالقرآن، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122].

**الحادي عشر**: كما أن المطر واحد ثم أنه يقع على الأرض فيخرج منه الورد والريحان وعلى أرض أخرى فيخرج منه الشوك والسم فكذلك القرآن يقع على قلوب المطيعين فيخرج منها ورد العبودية وريحان الطاعة ويقع على قلب الكافر فيخرج منه سم الكفر وشوك المعصية، قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: 26].

**الثاني عشر**: أن في الماء النازل من السماء غنية عن جميع المياه، فكذلك في القرآن غنية عن جميع الكتب والعلوم.

**الثالث عشر**: أن الماء الكثير إذا انغمس فيه من لا يحسن السباحة يهلك، فكذلك القرآن إذا تكلم فيه أحد بغير علم هلك. قال ﷺ: «**من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**».

**الرابع عشر**: كما أن الشرب فوق الكفاية يضر ولا ينفع فكذلك القرآن فوق الفهم والفطنة يضر ولا ينفع، قال ﷺ: «**أُمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم**».

**الخامس عشر**: إذا نزل المطر زال القحط وظهر النبات والغذاء والفواكه فكذلك كان قبل نزول القرآن ظهر قحط الدين فلما نزل القرآن زال القحط في الدين وظهر أنواع الغذاء والفواكه للروح وهو بيان التوحيد والنبوة والشرائع.

**السادس عشر**: كما أن الماء يطفىء النار فكذلك القرآن والإيمان يطفىء عن المؤمن الذي هو حامل القرآن نار جهنم.

**النوع الخامس**: من الأشياء التي شبَّه الله تعالى بها الإيمان والقرآن: الحبل، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103] **ووجه المشابهة من وجوه**:

**الأول**: أن من أراد أن يصعد من الأسفل إلى العلو وخاف من الانزلاق فإذا تمسّك بالحبل أمن من ذلك الخوف، فالعبد إذا أراد أن يصعد من سفل البشرية إلى علو عالم الجلال والكبرياء ويخاف أن ينزلق قدم عقله فإذا تمسك بالقرآن أمن منه.

**الثاني**: أن الأعمى إذا أراد الذهاب إلى موضع فإن كان بين مكانه وبين ذلك الموضع حبل مشدود تمسّك بذلك الحبل فيصير بذلك فارغاً من غير خوف، فكذلك العقول البشرية كالعمى في سلوك سبل التوحيد والمعرفة فإذا تمسّكوا بالقرآن أمِنوا من الخوف.

**الثالث**: أن من سقط في البئر فطريق تخليصه أن يرسل إليه حبل ليتعلق به ويصعد وينجو من الهلاك، فالأرواح البشرية وقعت في هاوية عالم الأجسام فالملك الرحيم أرسل إليهم حبل القرآن فمن تعلق به وصعد نجا، ومن لم يتعلق به بقي في بئر الظلمات وكان من الهالكين.

**النوع السادس**: من الأشياء التي شبه الله تعالى بها الإيمان شجرة الزيتون.

قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[المؤمنون: 20] وذكروا في تشبيه القرآن أقوالاً:

**الأول**: أنه تعالى إنما شبه الإيمان بهذه الشجرة لأن الشجرة في أكثر الأمر إنما تنبت في الأمكنة المطهرة فكذلك المعرفة لا تستقر في كل قلب بل في القلوب المطهرة.

**الثاني**: أن شجرة الزيتون يتولد من ثمرتها ذلك الدهن الذين هو في غاية الصفاء، فكذلك قلب المؤمن يتولد منه الإيمان والمعرفة وهما أصفى الأنوار وأشرفها.

**واعلم أن الله تعالى وعد المؤمنين بعشر كرامات:**

**الأولى**: المغفرة قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38] والمعنى إن قَبِلوا الإيمان وتركوا الكفر.

**وثانيها**: الأمن قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: 82].

**(وثالثها)**: الهداية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [يونس: 9].

**رابعها**: الزيادة قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26].

**وخامسها**: الفلاح قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: 5] وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1].

**وسادسها**: التثبيت قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [إبراهيم: 27].

**وسابعها**: الشفاعة قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: 109] يعني قول لا إله إلا الله.

**وثامنها**: إصلاح الأعمال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

**وتاسعها**: البشارة قال تعالى: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت: 30].

**وعاشرها**: سمع كلام الله ورؤيته قال تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: 58] ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: 22 - 23] **وأما الخاتمة فمن وجوه:**

**الأول**: قال بعضهم: عجباً لمن عرفك كيف يخلو قلبه عن ذكرك، وكيف يكون همّ نفسه وولده أكبر من همّ مناجاتك، وكيف يفرح بغير إحسانك، وكيف لم يطلب الغنى [و] التعزز بك، وكيف لم يطلب الكفاية في صدق التوكل عليك، وكيف لم يعد البلاء في طاعتك أعظم أنواع السعادات، وكيف لم تشغله معرفتك عن معرفة غيرك، وكيف لم يهن على قلبه مصائب الدنيا، وكيف لم يطلب راحته وروحه بتفويض أموره إليك وكيف يطلب لذة العيش في غير وقت المعرفة وكيف يستلذ بما يشغله عنك، وكيف يؤثر شهوة الدنيا مع سرعة فنائها على محبتك، وكيف يغفل عنك وهو يعلم أنك لا تغفل عنه.

**والثاني**: قال مقداد بن حسين: من أقبل على الدنيا أحرقته بنيرانها يعني الحرص فصار رماداً، ومن أقبل على الآخرة أحرقته نيرانها يعني نار الخوف فصار سبيكة ذهب ينتفع به [و] من أقبل على الله أحرقته نار التوحيد والمحبة فصار جوهرة نفيسة فلا قيمة لها.

**والثالث**[1]: لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يكون خيره مأمولاً وشره مأموناً وحتى تكون الضعة أحب إليه من الرفعة، والفقر أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العزّ فيما سواه، ويستكثر القليل من عمل غيره ويستقلّ الكثير من عمل نفسه، ولا يرى[2] أحداً إلا ظن أنه خير منه.

قال لقمان لابنه: يا بني، الإيمان[3] سبع حقائق لكل حقيقة منها حقيقة[4]، فالحقائق السبع اليقين والمخافة والمعرفة والهدى والعمل والتفكر والورع، فحقيقة اليقين الصبر، وحقيقة الخوف الطاعة، وحقيقة المعرفة الإيمان، وحقيقة الهدى البصيرة، وحقيقة العمل[5] النية، وحقيقة التفكر الفطنة، وحقيقة الورع القرار.

**والخامس**[6]: قيل أركان الإيمان أربعة: توحيد بلا حدّ، وذكر بلا لبث، وحال بلا نعت، ووجد بلا وقت، ومعنى قولنا حال بلا نعت يصير بحيث لا يضيف حالاً من الأحوال الرفيعة إلا ويكون حاصلاً له لأنه لو لم يكن حاصلاً لكان غائباً وقبل ذكر الغائب غيبة.

**والسادس**: قال علي ﷺ: أربعة خصال من كنّ فيه فهو مؤمن :إذا قال صدق وإذا وعد وفى وإذا اؤتمن أدى وإذا عاهد لم يغدر.

**والسابع**: قال الجنيد: المؤمن كالأرض يطيق حمل كل شيء، وكالمطر إذا سقط سقى كل شيء، والتحقيق فيه أنه في جميع أحواله نظر إلى الله تعالى وهو لا ينظر من يعامل ولكنه ينظر لأجل من يعامل فلا جرم يستوي الكل عنده.

**الثامن**: قال يحيى بن معاذ[7]: الإيمان نقيّ فلا تدنّسه بآثامك ،والليل طويل فلا تقصره بمنامك، والأيام قصيرة فلا تخلها عن صيامك. وقال[8] أيضاً: إذا لم يكن الإيمان هادماً للسيئات كما أن الكفر هادم للحسنات فما فضل الإيمان؟

---

(1) والثالث في (ب) قيل.
(2) يرى في بـ(رأى).
(3) الإيمان في (ب) للإيمان.
(4) حقيقة في (ب) حق.
(5) العمل في (ب) العلم وهو سهو من الناسخ.
(6) والخامس من هنا إلى قوله قال يحيى بن معاذ ساقط من (ب).
(7) معاذ في (ب) الرازي.
(8) وقال أيضاً من هنا إلى قوله والعاشر قال إلخ ساقط من (ب).

**التاسع**: قال سهيل بن عبد الله: المؤمن بين خمسة أعداء: نفس تنازعه، ومنافق يبغضه، وشيطان يغويه، ومؤمن يحسده، وكافر يقاتله.

**العاشر**: قال أبو بكر الوراق: للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وصمته فكر، ونظره عبرة، وعمله طاقة.

**الحادي عشر**[1]: قال أبو بكر الواسطي في معنى قول معاذ: تعالوا نؤمن ساعة، أي حتى نخرج من الإرادات والمنازعات لأن كل إرادة الإنسان على خلاف إرادة الحق فهي منازعة مع الربوبية.

**الثاني عشر**: قال أبو يزيد: إلٰهي إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلوبهم أمانة بغير علمهم وإرادتهم، فإن لم تغنهم فمن يغنيهم؟

**(الثالث عشر)**: قال ﷺ: «**المؤمن من تكون نفسه منه في عناء والناس منه في راحة**».

(1) الحادي عشر من هنا إلى قوله الثالث عشر ساقط من (ب).

# الفصل الخامس:[1] في شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا إله إلا الله

**وهي من وجوه:**

**البحث الأول:**

زعم جماعة من النحويين أن هذا الكلام فيه حذف وإضمار ثم ذكروا فيه وجهين:

**أحدهما:** التقدير لا إله لنا إلا الله.

**والثاني:** لا إله في الوجود إلا الله.

واعلم أن هذا الكلام غير سديد (أما الأول) فلأنه لو كان التقدير: لا إله لنا إلاّ الله لم يكن هذا الكلام مفيداً لتوحيد الخلق إذ يحتمل أن يقال: هبْ أنه لا إله لنا إلاّ الله فلم قلتم أنه لا إله لجميع المحدثات والممكنات إلا الله ولهذا السبب أنه تعالى لأنه لما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ قال: بعده ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لأنه لما قال: وإلٰهكم إله واحد بقي لسائل أن يسأل ويقول: هب أن إلٰهنا واحد فلم قلتم أن إله الكل واحد؟ فلأجل إزالة هذا السؤال قال بعده لا إله إلا هو ولو كان المراد من قول لا إله إلاّ هو الأول كان هذا تكراراً محضاً (وأما الثاني) وهو قولهم التقدير لا إله في الوجود إلا الله فنقول: وأيّ حامل يحملكم على التزام هذا الإضمار بل نقول حمل الكلام على ظاهره أولى من ذلك الإضمار الذي ذكرتم وذلك لو أنّا ألزمنا ذلك الإضمار كان معناه لا إله في الوجود إلا هو فكان هذا نفياً لوجود الإله الثاني أما لو أجرينا الكلام على ظاهره كان هذا نفياً لماهية الإله الثاني، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في إثبات التوحيد من نفي الوجود فثبت أن إجراء الكلام على ظاهره أولى.

---

(1) الفصل الخامس من هنا إلى قوله قال حاتم الأصم ساقط من (ب).

**فإن قيل**: نفي الماهية غير معقول فإنك إذا قلت: السواد ليس بسواد كنت قد حكمت بأن السواد انقلب إلى نقيضه وصيرورة الشيء عن نقيضه غير معقول، أما إذا قلت: السواد غير موجود كان هذا كلاماً معقولاً فلهذا السبب أضمرنا فيه الإضمار، والجواب قولكم: نفي الماهية غير معقول، قلنا: هذا باطل فإنك إذا قلت: السواد ليس بموجود فقد نفيت الوجود لكن الوجود من حيث هو وجود ماهية فإذا نفيت الماهية المطلقة نفيت الماهية المسماة بالوجود، وإذا كان كذلك صار الماهية أمراً معقولاً، وإذا عقل ذلك فلم لا يجوز إجراء هذه الكلمة على ظاهرها؟ فإن قلت: فإنك إذا قلت: السواد ليس بموجود فإنك ما نفيت الماهية وما نفيت الوجود أيضاً وإنما نفيت موصوفية الماهية بالوجود فنقول: موصوفية الماهية بالوجود هل هي أمر مغاير للماهية وللوجود أم لا؟ فإن كانت مغايرة لهما كان لذلك المغاير ماهية فكان قولنا: السواد ليس بموجود نفياً لتلك الماهية المسماة بالموصوفية وحينئذ يعود الكلام المذكور، وأما إذا قلنا: أن موصوفية الماهية بالوجود ليست أمراً مغايراً للماهية وللوجود امتنع توجيه النفي إليها وإذا امتنع ذلك بقي النفي متوجهاً إما إلى الماهية وإما إلى الوجود، وحينئذ يحصل غرضنا من أن الماهية يمكن نفيها وإذا كان الأمر كذلك صح أن قولنا: لا إلٰه إلاّ الله حق وصدق من غير حاجة إلى إضمار.

**البحث الثاني:**

قال النحويون: قولنا لا إلٰه إلاّ هو، ارتفع هو لأنه بدل من موضع لا مع الاسم، وبيانه أنك إذا قلت: ما جاءني رجل إلا زيد فقولك: إلا زيد مرفوع بالبدلية لأن البدل هو الإعراض عن الأول والاجتزاء بالثاني، فصار التقدير: ما جاءني إلا زيد وهذا معقول لأنه يفيد نفي المجيء عن الكل إلا عن زيد، وأما قوله: جاءني القوم إلاّ زيداً فهاهنا البدلية غير ممكن لأنه يصير التقدير: جاءني إلاّ زيداً وذلك يقتضي أنه جاءه كل أحد إلاّ زيداً وذلك محال فظهر الفرق.

**البحث الثالث:**

اتفق النحويون أن محل إلا في هذه الكلمة محل غير، والتقدير: لا إلٰه غير الله، وهو قول الشاعر:

[وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان]

المعنى كل أخ غير الفرقدين فإنه يفارقه أخوه، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ قيل: التقدير لو كان فيهما آلهةٌ غير الله لفسدتا والذي يدل على صحة ما قلناه أنّا لو حملنا إلا على الاستثناء لم يكن قولنا: لا إلٰه إلا الله توحيداً محضاً لأنه يصير تقدير الكلام. لا إلٰه يستثنى عنهم الله فيكون هذا نفياً لآلهة يستثنى عنهم ولا يكون نفياً لآلهة لا يستثنى عنهم الله، بل عند من يقول بدليل الخطاب يكون إثباتاً لذلك وهو كفر، فثبت أنه لو كانت كلمة إلا محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا لا إلٰه إلا الله توحيداً محضاً ولما اجتمعت العقلاء على أنه يفيد التوحيد المحض وجب حمل إلّا على معنى غير حتى يكون معنى الكلام لا إلٰه غير الله.

**البحث الرابع:**

قال جماعة من الأصوليين: الاستثناء من النفي لا يكون إثباتاً، واحتجوا عليه بوجهين:

**الأول:** أن الاستثناء مأخوذ من قولك: ثنيت الشيء عن وجهته إذا صرفته عنها، فإذا قلت: لا عالم فها هنا أمران.

**أحدهما:** الحكم بهذا العدم والثاني نفس هذا العدم، ثم إذا قلت عقبه: إلا زيد فهذا الاستثناء يحتمل أن يكون عائداً إلى حكمك ذلك العدم ويحتمل أن يكون عائداً إلى نفس ذلك العدم فإن كان عائداً إلى الحكم بالعدم، لم يلزم تحقيق الثبوت لأن بسبب الاستثناء يزول الحكم بالعدم وعند زوال الحكم بالعدم يبقى المستثنى مسكوتاً عنه غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالإثبات وحينئذ لا يلزم الثبوت أما إن كان تأثير الاستثناء في صرف العدم ومنعه فحينئذ يلزم تحقيق الثبوت لأنه لما ارتفع العدم وجب حصول الوجود بالضرورة لأنه لا واسطة بين النقيضين إذا ثبت هذا فنقول: عود الاستثناء إلى الحكم بالعدم أولى من عوده إلى نفس العدم ويدل عليه وجهان:

**الأول:** أن الألفاظ وضعت دلالة على الأحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية، فإنك إذا قلت العالم قديم فهذا لا يدل على كون العالم قديماً في نفسه وإلا لكنّا إذا قلنا العالم قديم والعالم حادث لزم كون العالم قديماً وحادثاً وذلك محال، بل هذا الكلام يدل على حكمك بقدم العالم، وإذا كانت الألفاظ دالة على

الأحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية كان صرف ذلك الاستثناء إلى الحكم بالعدم أولى من صرفه إلى نفس ذلك العدم.

**الوجه الثاني**: في بيان أن عود الاستثناء إلى الحكم بالعدم أولى من عوده إلى نفس ذلك العدم، وذلك لأن عدم الشيء في نفسه ووجوده لا يقبل تصرف هذا العامل بل القابل لتصرفه هو حكمه بذلك الوجود والعدم، وإذا كان كذلك كان عود الاستثناء إلى الحكم أولى من عوده إلى المحكوم به.

**الحجة الثانية** في بيان أن الاستثناء من النفي ليس بإثبات هو أنه جاء في الحديث والعرف صور كثيرة في الاستثناء في النفي مع أنه لا يقتضي الثبوت قال ﷺ: **«لا نكاح إلا بوليّ ولا صلاةَ إلا بطهور»**[1].

**ويقال في العرف**: لا عزّ إلا بالمال، ولا مال إلا بالرجال، ومرادهم من الكلّ مجرّد الاشتراط، أقصى ما في الباب أن يقال: (قد)[2] ورد هذا اللفظ في صورة أخرى وكان المراد أن يكون المستثنى من النفي إثباتاً، إلا أنّا نقول: أنه لا بدّ وأن يكون مجازاً في إحدى الصورتين، إلا أننا نقول: إن قلنا: أنه لا يقتضي أن يكون الخارج من النفي إثباتاً فحيث أفاد ذلك احتمل أن تكون تلك الزيادة مستفادة من دليل آخر، ولا يكون ذلك تركاً لما دلّ اللفظ عليه.

**فإن قلنا**: إنّه يقتضي أن يكون الخارج من النفي إثباتاً، فحيث لا تفيد ذلك لزمنا ترك العمل [بما][3] يكون اللفظ دليلاً عليه، ومعلوم أن الأوّل أولى؛ لأنّ إثبات الأمر الزائد بدليل زائد ليس فيه مخالفة الدّليل، أما ترك ما دلّ الدليل عليه يكون مخالفاً للدليل فثبت بما ذكر أن الاستثناء من النفي لا يكون إثباتاً، وإذا ثبت هذا كان قولنا: لا إله إلا الله تصريحاً بنفي سائر [الآلهة][4]، ولا يكون إترافاً بوجود الله، وإذا كان كذلك لم يكن مجرد هذا القول كافياً في صحة الإيمان وهٰهنا إشكال آخر وهو:

---

(1) هو حديثان، الأول عند أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث أبي موسى وابن ماجه من حديث ابن عباس، والثاني بلفظ آخر عند أحمد وأبي داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة.

(2) [قد] في الأصل فقد.

(3) [بما] في الأصل ما.

(4) [الآلهة] في الأصل الإلٰهية.

إنّا قد دلّلنا على أنّ كلمة إلاّ بمعنى غير في غير هذا الموضوع وإذا كان كذلك كان قولنا: لا إلٰه إلاّ الله [معناه][1] لا إلٰه غير الله، فيصير المعنى نفي إلٰه يغاير الله، ولا يلزمهم من نفي ما يغاير الشيء إثبات ذلك الشيء وحينئذٍ يعود.

**والجواب من وجهين:**

**الأوّل**: أن إثبات الإلٰه ﷻ متّفق عليه بين جميع العقلاء بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: 25]، وكان ذلك مفروغاً منه متفقاً عليه إلا أنهم كانوا يثبتون الشركاء والأنداد والأضداد، فكان المقصود من هذه الكلمة نفي الأضداد والأنداد، فأمّا القول بإثبات الإلٰه للعالم فذلك من لوازم العقول.

**والثاني**: إن سلمنا أن هذه الكلمة كما دلت على نفي سائر الآلهة دلّت على إثبات إلٰهية الله تعالى، إلاّ أنّا نقول هذه الدلالة تكون حاصلة بوضع الشرع لا بمفهوم أصل اللغة فهذا تمام القول في هذا المقام.

**البحث الخامس:**

اعلم أنه يجوز أن يقال: لا رجلَ في الدار وأن يقال: لا رجلٌ في الدار.

**أمّا الوجه الأول**: فإنه يوجب نفي الرجال بالكلية، والدليل عليه: أن قولنا: لا رجلَ يقتضي نفي ماهية الرّجل ونفي الماهيّة يقتضي انتفاء كل أفراد الماهية؛ لأنّه لو ثبت فرد من أفراد الماهية لثبتت الماهية ضرورة؛ وأنّه إن ثبت فرد من أفراد الماهية ثبتت الماهية لا محالة.

**وأمّا قولنا**: لا رجل في الدّار فهو نقيض قولنا: لا رجلَ في الدار، ولكن قولنا لا رجل في الدّار يفيد ثبوت رجل واحد، فقولنا: لا رجلَ في الدار وجب أن يفيد عموم النّفي حتى يتحقق التناقض بين القولين.

فالحاصل، أن قولنا: لا رجلَ أقوى في الدلالة على عموم النفي من قولنا: لا رجلُ مع أنّ كلّ واحد منهما يفيد عموم النفي. ولأجل كون كلّ واحد منهما يفيد العموم قوى قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2] بالقراءتين وكذا قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا

(1) [معناه] في الأصل.

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 197] ولأجل أن البناء على الفتح أقوى في الدلالة على العموم اتفقوا عليه في قولنا: لا إله إلاّ الله.

**البحث السادس:**

ومن الناس من يقول: إن تصور الإثبات مقدم على تصور النفي بدليل أنّ الواحد منا يمكنه أن يتصور الإثبات وإن لم يخطر بباله معنى النفي والعدم، ويمتنع عليه أن يتصور العدم والنفي إلا وقد تصوّر الإثبات أولاً؛ وذلك لأن العدم المطلق غير معقول بل العدم لا يُعقل إلا إذا أضيف إلى أمر معين، فيقال: عدم الدار وعدم الغلام؛ فثبت أن تصور الإثبات أصل ومتقدم وتصور النفي متأخر وفرع.

وإذا ثبت هذا: فما السبب في أن جعل النفي الذي هو الفرع مقدماً والإثبات الذي هو الأصل مؤخراً؟

**والجواب:** أن في تقديم النفي على الإثبات هٰهنا أغراضاً:

**الأوّل:** أن نفي الربوبية عن غيره ثم إثباتها له آكد في الإثبات من إثباتها له من غير نفيها عن غيره كما أن قول القائل: ليس في البلد عالم غير فلان أقوى في باب المدح من قولنا: فلان عالم البلد.

**الثاني:** أي لكل إنسان قلباً واحداً والقلب الواحد لا يتسع باشتغالٍ بشيئين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولاً بأحد الشيئين يبقى محروماً عن الشيء الثاني، فقوله: لا إله إلاّ الله إخراج لكل ما سوى الله عن القلب حتى إذا صار القلب خالياً عن كل ما سوى الله ثم حضر فيه سلطان: إلاّ الله أشرق نوره إشراقاً تاماً وكمل استيلاؤه عليه كمالاً قوياً.

**الثالث:** أن النفي الحاصل بلا يجري مجرى الطّهارة والإثبات **[الحاصل بإلاّ]**[1] يجري مجرى الصلاة، فكما أنّ الطهارة مقدمة على الصلاة فكذا أوجب تقديم (لا إله) على قولنا (إلاّ الله)، ويجري مجرى تقديم الاستعاذة على القراءة فكما كنا هذه الاستعاذة مقدمة على قراءة القرآن فكذا هٰهنا.

وأيضاً من أراد أن يحضر الملك في بيته وجب عليه أن يقدم تطهير البيت عن الأقذار فكذا هٰهنا.

---

(1) [الحاصل بألا] في الأصل بألا الحاصل.

وعن هذا قال المحققون: أن النّصف الأوّل من هذه الكلمة ينظف الأسرار، والنصف الثاني جلالة الأنوار عن حضرة الملك الجبار.

والنصف الأوّل فناء والثاني بقاء، والنصف الأول انفصال والثاني اتصال، والنصف الأوّل إشارة إلى قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: 50] والنصف الثاني إشارة إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: 91].

## البحث السابع:

**لقائل أن يقول:** أنّ من عرف أنّ للعالم صانعاً قادراً قاهراً عالماً موصوفاً بجميع الصفات المعتبرة في الإلٰهية من الصفات السلبية والثبوتية فقد عرف الله تعالى معرفة تامة ثم إن علمه بعدم الإلٰه الثاني لا يزيده علماً بحقيقة ذات الإلٰه وصفاته، لأن عدم الإلٰه الثاني ليس عبارة عن وجود الإلٰه الأوّل ولا صفة من صفاته، ثم إنا أجمعنا على أنّ علمه بذات الإلٰه وصفاته لا يكفي في تحقيق النجاة، بل ما لم يعلم عدم الإلٰه الثاني لا يحصل العلم المعتبر في النجاة، فما السّبب في أن كانت معرفة ذات الله تعالى وصفاته غير كافية في تحقيق النجاة، بل كان العلم بعدم الثاني معتبراً في تحقيق النجاة.

## البحث الثامن:

أن المكلف إذا تمّم النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى، ثمّ كما تمّم مات ولم يجد من الوقت ما أمكنه أن يقول فيه: لا إلٰه إلّا الله فهٰهنا لا شك أنّه يموت مؤمناً؛ لأنّه أدّى ما وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ بهذه الكلمة. أمّا إذا تمّم النظر والاستدلال في معرفة الله ووجد من الوقت ما أمكنه أن يقول فيه: لا إلٰه إلّا الله ثمّ إنّه لم يقل ثم مات فهذا الشخص هل مات مؤمناً أم لا؟

مِن النّاس من قال: إنّه مات كافراً لأنّ صحة الإيمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة عند القدرة عليه.

ومِن النّاس من قال: إنّه مؤمن لأجل أنّه حصل له العرفان التام، وفاسق لأجل أنّه كان مأموراً بذكر هذه الكلمة ولم يذكرها[1].

---

(1) ولم يذكرها بهامش (أ) نسخة ثانية هي: وما ذكرها.

والدليل على أنّه مؤمن قوله ﷺ: «**يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**»[1] وهذا الشخص قلبه مملوء من الإيمان فكيف لا يخرج من النار؟!

**البحث التاسع:**

مِن النّاس من قال تطويل المدّة في كلمة (إلٰه)[2] من قولنا: لا إلٰه إلاّ الله مندوب إليه مستحسن؛ لأنّ المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الأضداد والأنداد وينفيهما ثم بعد ذلك يعقّب هذه الكلمة بقوله إلاّ الله فيكون ذلك أقرب إلى الإخلاص والكمال، ومنهم من قال: ترك التمديد أولى، لأنّه ربّما مات في زمن التلفظ بلا قبل الانتقال إلى كلمة إلّا.

**والجواب**: أن بتقدير أن يكون للعالم إلٰهان فالعبد لا يعلم أنه عبد لهذا الإلٰه أو عبد لذلك الإلٰه أو عبد لهما معاً، فحينئذ لا يكون جازماً بكونه مشتغلاً بشكر مولاه وخالقه بل يجوز أن تكون عبادته لغير خالقه، ومتى كان الأمر كذلك لم يكن جازماً في تلك العبودية وتلك الطاعة، أمّا إذا عرف أنّه لا إلٰه للعالم إلاّ إلٰه واحد فحينئذ يكون جازماً بكونه مشتغلاً بعبودية مولاه وخالقه، فلهذا السبب لم تحصل النجاة والفوز بالدرجات إلّا معرفة التوحيد.

**والذي عندي**: أن المتلفّظ بهذه الكلمة إن كان يتلفظ بها لينتقل بها من الكفر إلى الإيمان فترك التمديد أولى حتى يحصل الانتقال من الكفر إلى الإيمان على إسراع الوجوه وإن كان المتلفظ بها مؤمناً وإنما يذكرها لتجديد هذه الكلمة فالتمديد أولى؛ حتى يحصل في زمن التمديد صور الأضداد والأنداد على التفصيل في الخاطر، وينفيها ثم يعقبها بقوله: إلاّ الله.

**البحث العاشر:**

اعلم أن الناس في قول هذه الكلمة على مراتب وطبقات:

**وأدناها طبقة**: من قالها ليحقن بها دمه فأحرز ماله على ما اقتضاه موجب قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلاّ الله فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

---

(1) رواه أحمد (3/ 94 ـ 95)، والنسائي (8/ 112 ـ 113)، والترمذي (2725).

(2) [إلٰه] في الأصل (لا).

وهذه درجة يشترك فيها المخلصون والمنافقون، وكل من تعلّق بهذه الكلمة نال من بركتها وأحرز حظاً من فوائدها، وإن طلب بها الدنيا نال الأمن فيها والسلامة من آفاتها، وإن قصد بها الآخرة جمع بين الحظّين وأحرز بها السعادة في الدارين.

**والطبقة الثانية: الذين ضموا إلى القول باللسان الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد.**

واعلم أن الاعتقاد التقليدي لا يكون عِلماً وذلك لأنّ العقد ضدّ الانحلال والانشراح، والعلم عبارة عن انشراح الصّدر، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: 22].

فثبت أن صاحب التقليد لا يكون عارفاً ولا عالماً، وهل يكون مسلماً؟ فيه الخلاف المشهور بين الأمة.

**الطبقة الثالثة: الذين ضمّوا إلى الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الإقناعية المقوّية لذلك الاعتقاد،** إلاّ أن تلك الدلائل لا تكون برهانية يقينيّةً بل إقناعيّة ظنّيةً.

**الطبقة الرابعة: الذين أثبتوا تلك العقائد بالدلائل القطعية والبراهين اليقينية.** إلاّ أنّهم لا يكونون من أرباب المشاهدات والمكاشفات، ولا من أصحاب التجلي وأرباب مطالعة (الأنوار) الإلٰهية.

ثم اعلم أن الإقرار باللسان له درجة واحدة، أمّا الاعتقاد بالقلب فله درجات مختلفة بحسب قوة الاعتقاد وضعفه وعدمه ودوامه، وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها؛ فإن المقلد ربّما كان مقلداً في مجرد أن الله تعالى واحد وربّما زاد عليه، فكان مقلداً في ذلك وفي أن صانع العالم عالم وقادر.

واعلم أن كلّما كان وقوف الإنسان على هذه المطالب أكثر، كان تشويش أمر التقليد عليه أكثر؛ وذلك لأنّ القلب إذا حصل له شعور بهذه المطالب وحصل له وقوف [على] مشاهدة المباحث مال إلى العلم وكره التقليد فتعسر عليه التقليد.

**وأمّا المرتبة الثالثة:** وهي تقوية الاعتقاد بالدلائل الإقناعية فمراتب الخلق فيها متفاوتة وغير مضبوطة.

**وأمّا المرتبة الرابعة**: وهي الترقي من الدلائل الإقناعية إلى البرهانية القطعية فالأشخاص الذين يكونون واصلين إلى هذه الدرجة يكونون في غاية القلّة ونهاية الندرة؛ لأنّ ذلك يتوقف على معرفة شرائط البراهين واستعمالها في المطالب وذلك في غاية العزة.

**وأمّا المرتبة الخامسة**: وهم أصحاب المشاهدات والمكاشفات فنسبتهم في القلّة إلى أصحاب البراهين القطعية كنسبة أصحاب البراهين القطعية إلى عوام الخلق.

واعلم أنّ عالم المكاشفات لا نهاية لها؛ لأنّه عبارة عن سفر العقل في مقامات جلال الله ومدارج عظمته، ومنازل كبريائه وقدسه.

ولما كان لا نهاية لهذه المقامات فكذلك لا نهاية للسفر في تلك المقامات.

واعلم أن الإنسان إذا انكشف له أسرار لا إلٰه إلّا الله أقبل على الله وأخلص في عبادته ولم يلتفت إلى أحد سواه، فلا يرجو غيره ولا يخاف غيره، ولا يرى الضرَّ والنفع إلا منه فانقطع بالكلية ممَّن دونه وتبرأ من شرك الباطن كما قد تبرّأ من شرك الظاهر، وذلك كلّه موجب كلمة التوحيد، ولهذا السبب لمّا قال لمحمّد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال بعده: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: 19]، والمعنى ـ والله أعلم ـ أنّ الأمر بالاستغفار في تعقب وقع في موجب كلمة لا إلٰه إلّا الله إمّا لغفلة تحول دونه أو لعارض شغل يعوقه عنه، وهو معنى قوله ﷺ: «**إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**» وقد روى (مائة مرة).

**وفي الحديث وجوه:**

**الأول**: أن المراد ما يغشى قلبه من غفلة أو يعرضه من فترة بحكم الطبع البشري فعند ذلك يفزع إلى الاستغفار.

**الثاني**: أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان أبداً في الترقي، فإذا انتقل إلى درجة نظر إلى الدرجة التي انتقل عنها فكان يستحقرها في العبودية فكان يستغفر الله منها.

**الثالث**: أنّه ربما لاح له شيء من تجلّي عالم الغيب فيستعظم تلك الدرجة

ويستبهج بها ثم يصير استعظامه لها وابتهاجه بها شاغلاً له عن الاستغراق في المبتهج به فكان يستغفر الله عن ذلك.

**الرابع**: أنّه كلّما لاح له شيء من عالم الغيب كان يعلم أن الذي لاح له إنّما لاح بقدر قوته وطاقته، وكان يعلم أنّ قدر عقله وطاقته بالنسبة إلى جلال الله وعلوّ كبريائه كالعدم فحينئذ يعلم أنّ الذي لاح له من كمال عالم الغيب بالنسبة إلى ما لم يلح له كالعدم بالنسبة إلى الوجود، وكان يستغفر الله من أن يصفه بما يصل إليه قلبه وعقله وفكره وذكره وخاطره.

obeikandl.com

# الفصل السادس: في فضل المؤمن

اعلم أن الله تعالى سمّى المؤمنين ثالث نفسه في عشرة أشياء: في المراقبة والولاية والموالاة والصلاة والعزة والطاعة والمشاقة والأذى والالتجاء والشهادة.

**(المقام الأول): في المراقبة** يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105] هدّد المذنبين الحاضرين برؤية المؤمنين كما هدّدهم برؤية نفسه.

**وفيه لطائف:**

**(الأولى)**: روي أن عمر ﷺ خرج ليلة فسمع امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي، وامزجي الماء باللبن، فقالت: أوَ ليس قد نهانا عن ذلك أمير المؤمنين قالت: فلا يرانا أمير المؤمنين قالت: بلى ولكن يرانا ربّ العالمين، فلما سمع عمر ذلك خطبها في الغد لابنه فكان عمر بن عبد العزيز من خير حَفدتها.

**(الثانية)**: امرأة شاطرة كانت بمكة قالت: لا أبرح حتى أفتن طاووس اليماني، وكان رجلاً جميلاً فعرضت نفسها عليه مراراً حتى ظنّت أنّها أعجبته فقال طاووس: احضري الليلة فجاء بها إلى المقام فقال: اضطجعي هٰهنا فقالت: سبحان الله ألا يرى الناس؟ فقال طاووس: أوَليس قد يرانا الله في كل موضع؟! فتابت.

**(الثالثة)**: قال أبو عبد الرحمٰن العتبي: خرجت ليلة فإذا أنا بجارية مليحة فأردتها فقالت: وَيْلَكَ أما لَكَ زاجر من عقل إن لم يكن ناهٍ من الدين؟ فقلت: إنه لا يرانا إلّا الكواكب، فقالت: وأين مكوكبها؟

**(الرابعة)**: قال حاتم الأصمّ: راع نفسك في ثلاثة أوقات: إذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله إليك، وإذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله عليك، وإذا كنت ساكتاً فاذكر علم الله فيك لأنه تعالى قال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46].

**(الخامسة)**[1]: ثلاثة نفر حضروا عند بعض الزهاد وقالوا: أوصنا فقال لواحد: ألست تقول أنه عالم؟ قال: بلى فقال: إياك أن يعلم منك شيئًا يفضحك به غداً، وقال للثاني: أليس هو بصيراً؟ قال: بلى فقال: إياك أن يراك على عمل تستحي منه يوم القيامة، وقال للثالث: أليس هو سميعاً؟ قال: بلى قال: احذر أن لا يسمع منك شيئاً يردّك عن باب رحمته بسببه.

**(السادس)**: قال سفيان: من وجد في نفسه ثلاثة أشياء فليحكم عليها بالسعادة: الهيبة للعزيز الجبار، والحرمة للنبي المختار والحياء من الأبرار والأخيار.

**(المقام الثاني)**[2]: **الولاية**، وأنه تعالى جعل المؤمنين ثالث نفسه فيها فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: 55] قيل: نزلت في عبد الله بن سلام حين شكى من عداوة اليهود له بعد إسلامه فنزلت. وقال محمد بن إسحاق: نزلت في عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله تبرأت من حلف اليهود وتوليت الله ورسوله والمؤمنين عامة. **وفيه نكت:**

**(الأولى)**: أن يوسف عليه أفضل السلام قال: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يوسف: 101] فوجد العزّ والملك بسبب ذلك القول الذي هو قائله، وهاهنا قال الله تعالى للمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فأولى أن يرجو المؤمن[3] تلك الجنة والمغفرة.

**(الثانية)**: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني حافظكم وناصركم الله ورسوله والمؤمنون، ثم قال ﷺ: **«المؤمن مع من أحبّ»** ثم إن كل مسلم يحب الله فوجب له بحكم ذلك الخبر أن يكون المسلم أبداً مع حفظ الله، فإذا كان حفظ الله لا يفارقني بسبب أني أحب الله فكيف يفارقني حفظ الله مع أن الله وليي وحافظي وناصري.

**(الثالثة)**:[4] هذه الآية دلت على أن الصحابة ﷺ يحبوننا لأن الله تعالى جعل

---

(1) الخامسة من هنا إلى قوله السادس ساقط من (ب).
(2) المقام الثاني من هنا إلى قوله الأولى أن يوسف إلخ ساقط من (ب).
(3) المؤمن في (ب) المؤمنين.
(4) الثالثة من هنا قوله قال عمر بن الخطاب ساقط من (ب).

المؤمنين أولياء لنا وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: 55] ثم أكد ذلك بقوله ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71] ثم أمرنا بأن نحب الصحابة بدليل قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: 100] وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: 10] فثبت بمجموع هاتين الآيتين حصول المحبة بتساوٍ بين الصحابة، والحبيب لا يرضى بعذاب المحبوب فدلّ ذلك على أن جمهور الصحابة والتابعين وسلف المؤمنين كلهم يكونون شفعاء في ذنوب المذنبين.

**(المقام الثالث) الموالاة:** قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: 4] فحكم بأن مولى المؤمنين هو الله وجبريل وصالح المؤمنين. ثم أسقط شركة جبريل والمؤمنين فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: 78] وقال في حق الكافر: ﴿ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 15]، ثم قال: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ فمن كان الله مولاه فلا يذل ولا يخزى، ومن كان المؤمنون مواليه فلا يضيع ولا يشقى، قال عمر بن الخطاب ﷺ يوم أحد للكفار حيث قالوا: لنا عزّى وليس لكم عُزّى، فقال عمر: لنا مولى وليس لكم مولى، فنزل على وفق قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: 11].

**(الثانية):**[1] أن الله تعالى سمى النار مولى الكفار فقال: ﴿ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ وإنما سمى النار مولاهم لأنها لا تتركهم، ولما سمى نفسه مولى المؤمنين فنرجو أن لا يترك إعانتهم ورعايتهم.

**(الثالثة):** قال بعضهم: من كان مؤدّبه ربه لا يعاب، ومن كان ناصره ربه لا يغلب، ومن كان هاديه ربه لا يضل، ومن كان مُعينه ربه لا يشقى، ومن كان مولاه ربه لا يضيع ولا يحتاج إلى أحد.

**(المقام الرابع): الصلوات،** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، فجعل المؤمنين ثالث نفسه في الصلاة على الرسول ﷺ وها هنا ثلاث نكت:

---

(1) الثانية من هنا إلى قوله الثانية الصلاة من الله الخ ساقط من (ب).

**(الأول)**: جاء في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال ﷺ: **«هنّئوني هنّئوني»**، فقالوا: هنيئاً لك يا رسول الله فما حظنا؟، فنزل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: 43][1] والإشارة أنه صلّى الله على الرسول عليه أفضل السلام في الدنيا فما ترك المذنبين حتى صلّى عليهم أيضاً، فيوم القيامة كيف يترك المذنبين محرومين من المغفرة؟

**(الثانية)**: الصلوات[2] من الله على رسوله على أوجه: عام وخاص، وخاص الخاص، والعام: هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: 43] والخاص: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: 157] وخاص الخاص: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: 56].

**(الثالثة)**:[3] جاء في الحديث: **«إن لله ملائكة بأيديهم ألواح وقراطيس من فضة وأقلام من ذهب لا يكتبون شيئاً إلا الصلوات عليّ وعلى أهل بيتي»** والسبب من هذه الصلوات أن روح الإنسان الضعيفة لا تستعدّ لقبول الأنوار الإلٰهية فإذا استحكمت العلاقة بين روحه وروح الأنبياء فالأنوار الفائضة من عالم الغيب على أرواح الأنبياء تنعكس إلى أرواح هؤلاء المُصلّين بسبب الانعكاس، مثال الشمس والطست المملوء من الماء والسقف معلوم.

**(الرابعة)**: جعل الله أهل نبيه مساوياً له في خمسة أشياء في المحبة، قال تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] وقال تعالى في أهل بيته: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] والثاني في تحريم الصدقة عليهم قال ﷺ: **«حرمت الصدقة عليّ وعلى أهل بيتي»**[4].

**(والثالث)**: في الطهارة: قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ

---

(1) الحديث لم نعثر عليه فيما لدينا من المراجع.

(2) الصلوات في (ب) الصلاة.

(3) الثالثة من هنا إلى قوله المقام الخامس ساقط من (ب)، والحديث لم نعثر عليه فيما لدينا من المراجع، والظاهر أنه لا يصح.

(4) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ومعناه في الأحاديث الصحيحة.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ [طه: 1 ـ 3] وقال لأهل بيته: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

**(والرابع)**: في السلام: قال: (السلام عليك أيها النبي) وقال: في أهل بيته ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: 130].

**(والخامس)**: في الصلوات على الرسول وعلى آلِهِ: كما في آخر التشهد.

**(المقام الخامس): العِزّة.** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8] فعزّة الله عزّة الربوبية، وعزّة الرسول عزّة النبوة، وعزّة المؤمنين عزّة التلفظ بكلمة الإخلاص وهي:[1] لا إله إلّا الله، ثم إن كما عزّ[2] الله وعِزّ الرسول لا يقبلان الذل فكذا عزّ المؤمنين لا يقبل الذل.

**(الثانية)**[3]: لله عِزّة الإنشاء والتكوين: قال تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82] وللرسول عزّ الدنيا حيث أشار إلى القمر فانشق ببركة دعائه، وللمؤمن عزّ الإيمان والشهادة ثم إن الأشياء تكونت عند قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ والقمر انشق عند دعاء الرسول فنرجو أن يحصل الغفران والرحمة للمؤمن عند كلمة الشهادة.

**(الثالثة)**: عِزّ المؤمن في أن قيده المعرفة وصيده الجنة ووعده الرؤية، فإذا كان للعبد المؤمن رباً كافياً وكتاباً شافياً ورسولاً وافياً [اسمه اسم الله] ولساناً شاهداً لله ونفسه طالبة لمرضاة الله وقلبه محل لنظر الله، وسراجه معرفة الله وشهادته محبة الله، وروحه نور الله وبصيرته مشتاقة إلى رؤية الله، فجدير به أن يكون عزه متصلاً بعِزّ الله.

**(الرابعة)**: لله العِزّة سواء أوجد أو أعدم، وللرسول العِزّة سواء بلغ أو سكت فكذلك المؤمن له العِزّة سواء أطاع أو عصى.

**(الخامسة)**: لله العِزّة بالولاية: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: 196] وللرسول العِزّة أيضاً بالولاية لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ

---

(1) الإخلاص وهي ساقط من (ب).
(2) عِزّ الله في (ب) عِزّة الله.
(3) الثانية من هنا إلى قوله قال علي إلخ ساقط من (ب).

أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] وللمؤمنين أيضاً العِزّة بالولاية لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71].

**(السادسة)**: لله العِزّة بالعلو والعظمة لقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].

وللرسول بالرفعة لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الانشراح: 4] وللمؤمنين بالقبول والرحمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53].

**(السابعة)**: لله عِزّ المعبودية لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92] وللرسول عِزّ والمتبوعية لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158] وللمؤمن عز العبودية لقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ [الزمر: 53].

**(الثامنة)**: لله عِزّ الاستغناء ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: 38] وللرسول عز الأغنياء لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: 8] وللمؤمن عز الغنى لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: 32] ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ [النساء: 129].

**(التاسعة)**: قال علي ﷺ: (من أراد عزاً بغير عشيرة وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال وحسبًا بلا نسب، فيلخرج نفسه من ذل المعصية[1] إلى عز الطاعة).

**(العاشرة)**: قال هارون الرشيد لمنصور بن عمار: من أعقل الناس وأجهلهم وأغناهم وأعزهم؟ فقال: أعقلهم محسن خائف، وأجهلهم مسيىء آمن، وأعزهم الأتقياء، وأغناهم القانع[2].

**(المقام السادس)**[3] **الطاعة**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]. وفيه نكت: روى في الخبر: أني ملك لا أزول فأطعني حتى أجعلك ملكاً لا تزول، وأني حيّ لا أموت فأطعني حتى أجعلك حياً لا تموت، وأني إذا أردت شيئاً قلت له كن فيكون فأطعني حتى أُنزلك داراً إذا قلت

(1) ذل المعصية إلخ في (ب) ذل معصية الله إلى عز طاعته.
(2) وأعزهم إلخ في (ب) وأغناهم القانع وأعزهم الأتقياء.
(3) المقام السادس من هنا إلى قوله قال ج من آذى مؤمناً إلخ ساقط من (ب).

لشيء كن فإنه يكون[1].

**(الثانية)**: في الخبر ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح[2] وقال ﷺ: **«لا يجتمع أمتي على ضلالة»**[3].

وقال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها بالنواجذ»**[4] وقال ﷺ: **«اقتدوا بالذين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ»**[5] وقال ﷺ: **«اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»**[6] وكل ذلك يدل على أنه كما يجب طاعة الله وطاعة رسوله فكذلك يجب طاعة أولي الأمر من المؤمنين وهم العلماء والصالحون.

**(الثالثة)**: قيل بقاء الدنيا بسيوف الأمراء ولسان العلماء: فعليك بطاعتهما إلا في معصية الله.

**(المقام السابع) المشاقة**: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13] وقال تعالى في المؤمنين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 115] وفيه نكت:

**(الأولى)**: أن لله تعالى ثلاثة بحور عظيمة يهلك العبد فيها إن لم يكن له

---

(1) لا يوجد فيما لدينا من المراجع.

(2) رواه الخطيب (4/ 165) مرفوعاً، وفي إسناده سليمان بن عمر والنخعي وهو كذاب، فهو موضوع مرفوعاً من حديث ابن مسعود. لكن رواه أحمد (3600) والطبراني في المعجم الكبير (8582)، والبزاز (30) كشف الأستار على ابن مسعود وهو صحيح موقوفاً على ا بن مسعود.

(3) هو حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة منهم ابن عمر، انظر المعجم الكبير (13623) للطبراني، ومنهم أبو مالك الأشعري انظر المصدر السابق (3440)، وكذلك ابن عباس عند الحاكم (1/ 116) وأنس عند ابن ماجه (2950) وغيرهم.

(4) يراجع المعجم الكبير للطبراني، الأرقام (597 ـ 603 و625).

(5) ورد من حديث حذيفة بن اليمان وابن مسعود.
فحديث حذيفة رواه أحمد (5/ 382 و402)، والترمذي (3742 و3887)، وابن ماجه (97)، والبيهقي (8/ 153)، وابن حزم في الأحكام (6/ 81) وحديث ابن مسعود رواه الترمذي (3893)، ولكن ليس في حديثيهما «عضّوا عليها بالنواجذ».

(6) هو الحديث قبله.

معتصم يتمسك بها، فجعل حبل التوحيد سبباً للنجاة من الكفر فقال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: 256] وجعل القرآن سبباً للنجاة عن البدعة لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ وجعل الإجماع سبباً للنجاة عن الفتن لقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

**(الثانية)**: قال ﷺ: «**سبع من الهدى وفيهن الجماعة من خرج منهنّ فقد خرج من الجماعة لا تشهدوا على أهل قبلتكم بكفر ولا شرك واتركوا سرائرهم، وصلوا على من تاب من أهل القبلة وصلّوا الصلوات الخمس في الجماعة خلف كل برّ وفاجر، وجاهدوا مع كل خليفة ولا تخرجوا على أئمتكم بالسيف وادعوا [لهم][1] بالصلاة ولا تدعوا عليهم وجانبوا الأهواء كلها فإن أولها وآخرها باطل**[2]».

**(الثالثة)**: سئل عن القلب السليم فقال: هو الذي دينه بلا شك، ومذهبه بلا هواء، وعلمه بلا رياء، وبدنه بلا خصم.

**(المقام الثامن) في الأذى**: نهى عن الأذى للمؤمنين، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: 57] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

اعلم أنه تعالى نهى عن إيذاء المؤمن كما نهى عن إيذاء نفسه وإيذاء رسوله ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: 63] وقال ﷺ: «**المؤمنون قوم بررة وهم المتحابون المتبادلون، والمنافقون قوم فجرة وهم المتقاطعون المتدابرون**»،[3] وقال ﷺ لعائشة: «**إن الله يبغض الفاحش والمتفحش**»[4] فيه نكت:

---

(1) لهم (في الأصل) له.

(2) لم نعثر عليه فيما لدينا من المراجع.

(3) لم نره فيما لدينا من المراجع.

(4) انظر: المعجم الكبير للطبراني (405) من حديث أسامة بن زبير ورواه مسلم، وأحمد (6/ 135 ـ 135 و230)، والبخاري في الأدب المفرد (755) من حديث عائشة.
ومن حديث سهل بن الحنظلية انظر المعجم الكبير (5616 و5617)، ومن حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (2/ 159 و162 و191 و195)، والحاكم (1/ 75 و4/ 513)، وحديث جابر بن عبد الله عند البخاري في الأدب المفرد (320) وحديث أبي هريرة عند الحاكم (1/ 12).

**(الأولى)**: قال تعالى في الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المؤمن: 7] ولم يقل يلعنونهم ويؤذونهم.

**(الثانية)**: قال ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق»**[1].

**(الثالثة)**: عاتب الله نوحاً حين دعا على قومه بالهلاك.

وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71] ولم يقل أعداء بعض وقال ﷺ: **«من آذى مؤمناً بغير حق فكأنما[2] هدم مكة والبيت المعمور عشر مرات، وكأنما قتل ألف ملك من المقربين»**.[3]

وقال ابن عمر ﷺ: (إذا لعن العبد دابة تقول الدابة لعنه الله إغضاباً لربه)[4].

**(الرابعة)**[5] قال تعالى لرسوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199] ونهى عن الهمز واللمز فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1] وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ﴾ [القلم: 10-11] وقال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44] وقال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات: 18].

**(المقام التاسع) الالتجاء:** قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: 16] يمدح المؤمنين على الجهاد وعلى التولي في ذلك بالمؤمنين، لأن المنافقين كانوا يتولون اليهود ويتخذونهم وليجة وبطانة، فعليك أن تتولى الله ورسوله والمؤمنين وليجة وبطانة.

---

(1) ورد عن جمع كثير من الصحابة: من حديث حبر انظر الطبراني (2301 و2302)، ومن حديث عبد الله بن مغفل عند أبي داود (4807)، والبخاري في الأدب المفرد (472)، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجه (3688)، وابن حبان (1914)، والبزار (1964 كشف الأستار)، ومن حديث علي عند أحمد (1/ 112)، والبزار (1960 كشف الأستار)، وأبي يعلى (490)، ومن حديث أبي أمامة عند الطبراني (7477)، وفي مسند الشاميين (421) ومن حديث أنس عند البزار (1961 و1962 كشف الأستار)، والبخاري في الأدب المفرد (466)، ومن حديث عائشة عند مسلم (593)، وابن ماجه (3689).

(2) فكأنما: في (ب) فقد.

(3) لم نره فيما لدينا من المراجع.

(4) لم نره فيما لدينا من المراجع.

(5) الرابعة: من هنا إلى قوله الواسطي ساقط من (ب).

«النكتة الأولى» أنه تعالى مدح إبراهيم حيث تبرأ من أبيه وشكى عن حاطب بن أبي بلتعة حيث كاتب الكفار من أهل مكة فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: 1] وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: 22].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: 56] سمى من يتولى الله ورسوله حزب الله، ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: 62].

«النكتة الثانية» قال الواسطي: علامة الولي أربع: لا يشكو من المصائب، ولا يتخذ عمله رياء ويحتمل أذى الخلق ولا يكافيهم ويداري عباده على تفاوت أخلاقهم. وقال الشبلي: أحوال الأولياء ثلاثة، ترك الاختيار وترك الشكوى عند الاضطرار والافتقار إلى الملك الجبار.

**(المقام العاشر)[1] في الشهادة على التوحيد.** قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 18].

**(الأول) هو أن الله شهد لنفسه بالوحدانية ومن شهد لنفسه في الشاهد فإن تلك الشهادة لا تقبل.**

**والجواب من وجوه:**

**الأول:** أن هذا في الظاهر شهادة وفي المعنى إقرار، وإقرار المقرّ على نفسه مقبول وإنما قلنا أن هذا إقرار وذلك لأنه لما ادعى الوحدانية من الإلٰهية فقد أقر بأن الخلق كلهم عبيده ورزق العبد على المولى لازم، فكأنه تعالى أقر على نفسه للخلق كلهم بالرزق والتربية والحفظ والنصرة، ألا ترى أنه قال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6].

**الثاني:** أن الشهادة عبارة عن قول يدل على شيء دلالة ظاهرة ثم إن ذلك القول لا يراد لكونه قولاً بل لكونه دالاً على ذلك المطلوب فلا جرم كل فعل قام مقام القول في ذلك التعريف كان شهادة، ثم إن القول الدال لو كانت دلالته قطعية غير محتملة كان

(1) المقام العاشر من هنا إلى قوله هو الأول والآخر إلخ ساقط من (ب).

أولى بأن تكون شهادة وإذا ثبت ذلك فجميع مخلوقات الله تعالى دالة على وحدانيته و[إلٰهيته][1] دلالة يقينية قطعية فكانت أولى بأن تكون شهادة، فإذن شهادة الله على التوحيد لأجل أنه خلق الدلائل الدالة على التوحيد قطعاً، وأما شهادة الملائكة وأولي[2] العلم فمعناها شهادة الإقرار والاعتراف فكانت شهادة الله على ذلك أقوى وأتم.

**الثالث**: هو أن كل مسألة[3] لا يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم بصحتها فإنه يمكن إثباتها بالدلائل السمعية، ومسألة الوحدانية كذلك، فلا جرم ذكر العلماء أنه يمكن إثبات أن الإلٰه واحد بالدلائل السمعية وإذا كان الأمر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة أن يستدل بها على وحدانية الله تعالى.

**(السؤال الثاني) أنه تعالى نهى العباد عن أن يمدحوا أنفسهم لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: 32] ثم إنه مدح نفسه وأثنى على نفسه فما السبب فيه؟**

**والجواب من وجوه:**

**الأول**: أنه إذا حصّل الواحد منا نوع فضيلة فذلك من فضل الله وكرمه فالمستحق للثناء هو الله حيث أعطاه تلك الفضيلة وحلّاه بها، فلا جرم قبح من الواحد أن يثني على نفسه إذا كان المانّ بها غيره عليه، أما الحق ﷻ فإنه قد حصلت له صفات الكمال ونعوت الجلال على وجه يمتنع زواله وتغييره عليه فظهر الفرق.

**الوجه الثاني**: في الفرق أن ما فينا من الخصال الممدوحة لا ينفكّ عن أضدادها فإن علمنا مشوب بالجهل، وقدرتنا مشوبة بالضعف، وملكنا بعرض الهلاك، وبقاؤنا بعرض الفناء وحياتنا بعرض الموت، وأما صفات الله تعالى فإنها خالية عن أضدادها فإنه عالم بلا جهل قادر بلا عجز، ملكه بلا زوال وبقاؤه بلا فناء، وحياته بلا موت وعزه بلا ذل، فظهر الفرق.

**الوجه الثالث**: أن الله تعالى إنما نهى عبده عن تزكية نفسه لأن العبد يقدّم الدعوى على إظهار المعنى، فأمّا الحق سبحانه فإنّه كان قد أظهر المعنى قبل الدعوى؛ لأنّه خلقك

(1) وإلهيته في الأصل وإلا لهيته.
(2) وأولي العلم في الأصل وأولو العلم.
(3) مسألة في الأصل مسلمة.

وأعطاك الحياة والعقل. فأنواع المنافع وإظهار الدعوى بعد إقامة البرهان على المعنى يكون مستحسناً بخلاف حال العبد فإن [في] أكثر أحواله يكون إظهار الدعوى مقدماً على إظهار المعنى.

**الوجه الرابع**: أن من أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وفي ما [بينهما][1] جمال القدرة لا يليق به أن يمدح نفسه، إنّما [الأحق بمدح][2] النفس هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

**الوجه الخامس**: أنّ حبّ الإنسان لنفسه غالب فإذا شرع في مدح نفسه استولى حبّ ذلك عليه، ثم إن ذلك يعميه ويصمّه عن التنبّه لما فيه من المعايب فيصير ذلك سبباً لبقائه في ظلمات الحماقات والجهالات، بخلاف الحق ﷻ فإنه منزه عن النقائص والآفات فلا يصير مدحه لنفسه سبباً لشيء من المعايب والنقائص.

**السؤال الثالث: لمّا شهد لنفسه بالوحدانية فأيّ حاجة مع حصول شهادته إلى شهادة الملائكة و[أولي][3] العلم؟ فما الحكمة في أنه تعالى ذكر بعد شهادة نفسه شهادة الملائكة والمؤمنين؟**

**والجواب من وجهين:**

**الأوّل**: روي أنه ﷺ كان يمشي خلف جنازة فقيل: هذا الميت كان رجلاً صالحاً، فقال ﷺ: **«واحد»** وقال الثاني والثالث كذلك فقال ﷺ: **«اثنان ثلاثة»** فلمّا قال الرابع مثل ذلك قال ﷺ: **«وجبت»**؛ فقيل له: يا رسول الله وما الذي وجب؟ قال ﷺ: **«وجبت مغفرته في كرم الله»**[4].

فقال: لأن المؤمنين شهود على وحدانيته فلو لم تقبل شهادتهم هٰهنا لصارت شهادتهم في الوحدانية غير مقبولة وهو حكيم لا يغفل هذا.

**إذا عرفت هذا فنقول**: أنه تعالى لما جعل المؤمنين شهوداً لوحدانيته، فلو أظهر

---

(1) [بينهما] في الأصل: بينه.
(2) [الأحق بمدح] في الأصل: (الحق مدح).
(3) [أولي] في الأصل: (ألو).
(4) لم نره فيما لدينا من المراجع.

ذنبهم ومعصيتهم يوم القيامة صارت شهادتهم مردودة وذلك لا يليق بحكمة الحكيم، فلما جعلهم في هذه الآية شهوداً على وحدانيته دلّ ذلك على أنّه تعالى لا يظهر ذنبهم وقبح فعلهم يوم القيامة. اللّهم حقق رجاءنا بكرمك وفضلك.

**الثاني**: أنه ليس المقصود من ذكر شهادة الملائكة والمؤمنين توقيف هذا المطلوب على شهادتهم، بل المقصود [منه][1] شهادة الله لهم بأنّهم يوافقون الله في كل ما وصل إليهم من أمره ونهيه وخبره، فالمقصود إظهار شرفهم في كونهم موافقين لله في هذه الشهادة لا توقيف المطلوب على شهادتهم.

**السؤال الرابع: ما الحكمة في تكرير كلمة لا إله إلا الله في ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾** [آل عمران: 18]؟

**الجواب من وجوه:**

**أحدهما**: أن المقصود من التكرار التنبيه على أن الإنسان يجب أن يكون مواظباً على ذكر هذه الكلمة في أوقات عمره.

**وثانيها**: أنّه لمّا حصل هذه الكلمة أوّل الآية وآخرها صار ذلك تنبيهاً على أنّه يجب على العاقل أن يجعل هذه الكلمة مذكورة في أول عمره وفي آخر عمره حتى يكون في الدنيا سعيداً وفي الآخرة حميداً.

**وثالثها**: أن إحدى الشهادتين كانت قبل خلق الخلائق والثانية بعد خلقهم.

**ورابعها**: أنه تعالى ذكر إحدى الشهادتين عن نفسه والأخرى عن خلقه.

---

(1) [منه] في الأصل: فيه.

# الفصل السابع:
# في إقامة الدليل على أنّ الله واحد لا شريك له

**قد بيّنا أن هذا المطلوب يمكن إثباته بالدلائل العقلية وبالدلائل النقلية فلنذكر الكلّ، أما الدلائل العقلية فمن وجوه:**

**الحجة الأولى:** القول بوجود إلٰهين يفضي إلى المحال فيكون القول به محالاً. وإنّما قلنا إنه يفضي إلى المحال لأنّا لو فرضنا وجود إلٰهين فلا بد وأن يكون كلّ واحد منهما قادراً على كلّ المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادراً على تحريك زيد وتسكينه، فأما أن يقع المرادان وهو محال؛ لاستحالة الجمع بين الضدين، أو لا يقع واحد منهما وهو أيضاً محال، لأنّ المانع، من وجود مراد كلّ واحد منهما حصول مراد الآخر، ولا يمتنع وجود [مراد هذا إلا][1] عند وجود مراد ذاك وبالعكس فلو امتنعا معاً لوجدا معاً وذلك محال.

**وإمّا أن يقع مراد أحدهما دون الآخر وهو أيضاً محال لوجهين:**

**الأوّل:** أنه لما كان كل واحد منهما قادراً على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقل من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة، وإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع، وإذا لزم ترجّح أحد المتساويين على الآخر من غير مرجح وهو محال.

**الثاني:** أنّه إن وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي يحصل مراده يكون إلٰهاً قادراً والذي لا يقع مراده يكون عاجزاً والعاجز لا يكون إلٰه الخلق.

**فإن قيل: لا نسلم صحة المخالفة في الإرادة ويدل عليه وجهان:**

---

(1) [مراد هذا إلاّ ] في الأصل: (هذا الإفراد لا).

**الأوّل**: أنه لا بد وأن يكون كلّ واحد منهما عالماً بجميع المعلومات وإذا كان كذلك كان كل واحد منهما عالماً بأنّ أيّ أحد الضدين نفع؟ وأيّهما لا نفع، وما علم الله أنّه لا نفع كان ممتنع الوقوع، وما كان ممتنع الوقوع فإنّ العالم بامتناعه لا يريده، وإذا كان كذلك كان كل واحد منهما [لا يريد][1] إلا إيقاع شيء واحد.

**والثاني**: أنّ كلّ واحد منهما لا بدّ وأن يكون حكيماً، فيكون كل واحد منهما عالماً بأن أيّهما هو الأصلح وأيّهما ليس هو الأصلح، فيكونان متوافقين في إرادة ما علما أنه هو الأصلح، وبهذا الطريق يمتنع وقوع المخالفة بينهما، سلّمنا أنه تصح المخالفة، ولكن المحال إنما يلزم من وقوع المخالفة لا من جواز المخالفة فلا جرم نقول: المخالفة لا تقع وإن كانت ممكنة الوقوع.

**الجواب**: لو كان العلم بأن أيّهما نفع وأيّهما لا نفع [أوجب][2] إرادة ما علم[3] وقوعه لزم أن يكون الله موجباً لأفعاله لا موجداً لها على سبيل الاختيار، والكلام في الوحدانية فرع على الكلام في إثبات القادر المختار.

**الحجة الثانية**: لو فرضنا إلٰهين لكان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات وذلك يفضي إلى وقوع مقدور واحد بين قادرين مستقلين، وذلك محال؛ فالقول بوجود إلٰهين محال.

بيان الملازمة أنّه إذا كان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات كان مقدور كل واحد منهما مقدوراً للآخر، ثم إذا اتّفقا على أنه لا بدّ من دخول أحد تلك المقدورات في الوجود فحينئذ لا يكون وجود ذلك المقدور بأحدهما أولى من وقوعه بالثاني لأن كل واحد منهما مستقل بإيجاده، وكل واحد منهما مريد وجوده، ولا رجحان لأحدهما على الآخر في ذلك فلزم وقوع المقدور الواحد بالقادرين المستقلّين [وذلك محال][4].

---

(1) [لا يريد] في الأصل: لا يريده.
(2) [أوجب] في الأصل: وجب.
(3) علم وقوعه في الأصل: على عدم وقوعه، وتنبه للخطأ أحد العلماء فكتب على الهامش: (الأولى حذف لفظة عدم كما لا يخفى والله أعلم).
(4) [وذلك محال] زيادة يقتضيها السياق.

**وإنما قلنا**: إن ذلك محال لأنّ ذلك الفعل مستغن بكل واحد منهما عن كل واحد منهما، فيكون محتاجاً إليهما وغنياً عنهما معاً وذلك جمع بين النقيضين وهو محال.

**الحجة الثالثة**: إذا قدّرنا الإلٰهين فإمّا أن يصح عليهما أن يختلفا أو لا يصحّ. فإن صحّ الاختلاف أفضى ذلك إلى عجز أحدهما على ما بيّناه في الحجة الأولى.

وإن لم يصحّ عليهما الاختلاف كان كل واحد منهما عاجزاً عن إظهار مخالفة صاحبه فيعود الأمر إلى كون كلّ واحد منهما عاجزاً، والعاجز لا يكون إلٰهاً.

واعلم أنّك متى وقفت على تقرير هذه الوجوه الثلاثة عرفت أن جميع ما في العالم العلويّ والسفليّ من المحدثات والمخلوقات فهو دليل وحدانية الله تعالى، لأنّه لو أراد أحدهما أن يكون صيفاً والآخر أن يكون شتاءً وصحيحاً ومريضاً، وسعداً ونحساً فحينئذٍ يكون التقسيم المذكور.

**الحجة الرابعة**: لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتيهما فلا بد أن يكون كل واحد منهما مشاركاً للآخر في الوجود ومباينًا له في نفسه، وما به المشاركة غير ما به المباينة، وكل واحد منهما مركب عن الوجود الذي به يشارك الآخر وعن التباين الذي به يباين الآخر وكل مركب فإنه محتاج إلى كلٍّ واحد من أجزائه [وأجزاؤه][1] غيره؛ فكل مركب محتاج إلى غيره، وكل ما كان محتاجاً إلى غيره فهو ممكن لذاته فيوجد سببان كل واحد منهما ممكن الوجود لذاته، وذلك محال فالقول بأن واجب الوجود أكثر من واحد محال.

**الحجة الخامسة**: لو فرضنا موجودين كل واحد منهما واجب الوجود لذاته فلا بد أن يتميّز كل واحد منهما عن الآخر بأمور، وإلّا لم يحصل التعدد.

ثم نقول ما به الممايزة إمّا أن يكون صفة كمال أو لا يكون، فإن كان صفة كمال فالخالي عنها يكون خالياً عن صفة الكمال، فيكون ناقصاً والناقص لا يكون إلٰهاً وإن لم تكن صفة كمال فالموصوف به يكون موصوفاً بما لا يكون صفة كمال، وما لا يكون صفة كمال كان صفة نقصان، والموصوف به ناقص والناقص لا يكون إلٰهاً.

---

(1) [وأجزاؤه] في الأصل: (وأجزاء).

**الحجة السادسة:** أن يقال: ما به امتياز أحدهما عن الآخر إمّا أن يكون معتبراً في تحقق الإلٰهية وإمّا أن لا يكون معتبراً.

فإن كان معتبراً فيه كان الخالي عنه لا يكون إلٰهاً، وإن لم يكن معتبراً في الإلٰهية لم يكن الاتصاف به واجباً فيفتقر إلى المخصّص [فالموصوف][1] به مفتقر ومحتاج فلا يكون إلٰهاً.

**الحجة السابعة:** لو فرضنا إلٰهين لا بد أن يكون كل واحد منهما بحيث يتمكن العبد من التمييز بينهما، لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل إلّا بالتباين في المكان أو في الزمان أو في الإمكان، وكل ذلك على الإلٰه محال فيمتنع حصول الامتياز.

**الحجة الثامنة:** أحد الإلٰهين إما أن يكون كافياً في تدبير العالم وتخليقه أو لا يكون، فإن كان كافياً كان الثاني صانعاً غير محتاج إليه وذلك نقص والناقص لا يكون إلٰهاً، وإن لم يكن كافياً فهو ناقص والناقص لا يكون إلٰهاً.

**الحجة التاسعة:** العقل يقتضي احتياج الفعل إلى الفاعل والفاعل الواحد كافٍ وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيُفضي ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها، وذلك محال فالقول بوجود إلٰهين محال.

**الحجة العاشرة:** أحد الإلٰهين إما أن يقدر على تحقق نفسه بدليل يدلّ عليه على التعيين أو لا يقدر.

**والأول:** محال؛ لأن دليل إثبات الصانع ليس إلّا [هيآت][2] المحدثات وإمكانها، وليس في الحدوث والإمكان ما يدل على تعيين أحدهما.

**والثاني:** أيضاً باطل؛ لأنه يفضي إلى كون كل واحد منهما عاجزاً عن تعرف نفسه على التعيين والعاجز لا يكون إلٰهاً.

**الحجة الحادية عشرة:** أحد الإلٰهين إما أن يقدر على أن يستر شيئاً من أفعاله أو لا يقدر، وإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلاً وإن لم يقدر لزم كونه عاجزاً.

---

(1) [فالموصوف] في الأصل: (فلو وصف به).
(2) [هيآت] في الأصل: (لهيآت).

**الحجة الثانية عشرة:** لو قدرنا إلٰهين لكان مجموع قدرتيهما أقوى من قدرة كل واحد منهما على الانفراد، والأقل من الغير متناهٍ فقدرة كل واحد منهما متناهية، وكل واحد منهما عاجز.

**الحجة الثالثة عشرة:** العدد ناقص لاحتياجه إلى الواحد، وأيضاً الواحد الذي يوجد من جنسه ونوعه وغيره أيضاً ناقص؛ لأن مجموع العدد أزيد منه والناقص لا يكون إلٰهاً.

**الحجة الرابعة عشرة:** لو فرضنا معدوماً ممكن الوجود ثم قدرنا إلٰهين فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كلّ واحد منهما عاجزاً والعاجز لا يكون إلٰهاً.

وإن قدر أحدهما دون الآخر فهذا الآخر لا يكون إلٰهاً.

وإن أقدر جميعاً فإما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجاً إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزاً، وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثاني قادراً عليه وهو محال، لأنّ إيجاد الموجود محال، وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول قد أزال قدرة الثاني وعجزه فيكون مقهوراً تحت تصرفه فلا يكون إلٰهاً.

**فإن قيل:** فالواحد إذا أوجد مقدوراً بنفسه فقد زالت قدرته فيلزمك أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزاً.

**قلنا:** الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته، فنفاذ القدرة لا يكون تعجيزاً، وأمّا الشريك فإنه ما نفذت قدرته ألبته بل زالت قدرته بسبب قدرة الأول فيكون ذلك تعجيزاً.

**الحجة الخامسة عشرة:** إنّا نعيّن جسماً نقول: هل يقدر كل واحد منهما على خلق الحركة فيه بدلاً عن السكون وبالعكس أو لا يقدر؟

فإن لم يقدر كان عاجزاً، وإن قدر فتسوق الدلالة المتقدمة إلى أن نقول: إذا خلق أحدهما فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون فالأول أزال قدرة الثاني وجعله عاجزاً فلا يكون إلٰهاً.

**الحجة السادسة عشرة:** أنا لو قدرنا إلٰهين لكان كل واحد منهما عالماً بجميع

المعلومات وكان علم كل واحد منهما متعلقاً بغير معلوم الآخر، فوجب تماثل علمهما، والذات القابلة لأحد المثلين قابل للمثل الآخر فاختصاص هذه الذوات بهذا العلم مع جواز اتصافها بذلك العلم الثاني بدلاً عن هذا العلم يكون أمراً جائزاً فيستدعي مخصصاً يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته فيكون كل واحد منهما عبداً ناقصاً مفتقراً إلى الإلٰه وأنّه محال.

**الحجة السابعة عشرة:** أن الشركة في الملك عيب في الشاهد والفردانية والتوحيد بالملك والاستقلال به صفة كمال، ونرى الملوك يكرهون الشركة في الملك الحقير المتحقر أشد الكراهية، ونرى أنّه كلما كانت المملكة أعظم كانت النفرة عن الشركة أشدَّ فما ظنك بملك الله وملكوته؟!

وإذا أراد أحدهما استخلاص الملك لنفسه [و][1] قدر عليه كان المغلوب فقيراً عاجزاً فلا يكون إلٰهاً وإن لم يقدر عليه كان في أشد الغمّ والحيرة فلا يكون إلٰهاً.

**الحجة الثامنة عشرة:** أنّا لو قدرنا إلٰهين لكان إمّا أن يحتاج كل واحد منهما إلى الآخر أو يستغني كل واحد عن الآخر، فإن كان الأول كان كل واحد منهما محتاجاً [وكل][2] محتاج ناقص وكل ناقص لا يكون إلٰهاً.

وإن كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنٍ عنه والمستغنى عنه ناقص، ألا يرى أن البلد إن كان له رئيس والناس يحصلون مصالح البلد من غير رجوع منهم إليه ومن غير التفات منه إليهم عُدّ ذلك الرئيس في غاية الذلة والمهانة؛ فالإلٰه هو الذي يستغنى به ولا يستغنى عنه، وإن احتاج أحدهما إلى الآخر من غير عكس كان المحتاج ناقصاً والمستغنى هو الإلٰه.

**واعلم أن هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها إقناعية وأما الدلائل السمعية:**

**فالحجة الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 163] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: 51].

---

(1) [و] زيادة يقتضيها السياق.

(2) [وكل] في الأصل: (فكل).

**الحجة الثانية:** قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: 3] فالأول هو الفرد السابق ولذلك لو قال: أول عبد اشتريته هو حرٌ فلو اشترى أولاً عبدين لم يحنث لأن الأول يجب أن يكون فرداً، وهذان[1] ليسا بفرد ثم لو اشترى بعد ذلك واحداً لم يحنث أيضاً لأن الأول يجب أن يكون سابقاً وهذا ليس بسابق، فثبت أن الأول هو الفرد السابق فلما وصف الله نفسه بكونه أولاً لزم أن يكون فرداً سابقاً وذلك يقتضي أن لا يكون له شريك.

**الحجة الثالثة[2]:** قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] فالنص يقتضي أن لا يعلم أحد سواه تلك المغيبات ولو كان له شريك لكان عالماً بالغيب وكان على خلاف هذا النص.

**الحجة الرابعة:** أن الله تعالى صرّح بكلمة: لا إله إلّا الله في سبعة وثلاثين موضعاً في كتابه العزيز وكلّ ذلك يدل على المقصود[3].

**الحجة الخامسة:** قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] حكم بأن كلَّ ما سواه هالك[4]، وكلُّ ما جاز عليه العدم بعد وجوده لا يكون قديماً لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وما لا يكون قديماً لا يكون إلٰهاً.

**الحجة السادسة[5]:** قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: 17] ولو كان له شريك لكان الشريك قادراً على الضر والنفع وذلك خلاف قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾.

**(الحجة السابعة)** أنه تعالى استدل في كتابه على صحة التوحيد بثلاثة أوجه:

**أحدها:** قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

---

(1) وهذان في (ب) وهذا.
(2) الحجة الثالثة من هنا إلى قوله: اعلم أن الله تعالى صرح إلخ ساقط من (ب).
(3) على المقصود في (ب) على الوحدانية.
(4) كل ما سواه هالك في (ب) كل ما سواه فهو هالك.
(5) الحجة السادسة من هنا إلى قوله أن من فعل فعلاً إلخ ساقط من (ب).

**والثانية:** قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: 91].

**والثالثة:** قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42].

واعلم أنه لما ذكر قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

قال[1] بعده: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]

**وفيه لطائف:**

**أولها:** أنه تعالى لما أقام الدلالة القاطعة على صحة التوحيد قال بعده: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وذلك تنبيه على أن الاشتغال بالتسبيح إنما ينفع بعد إقامة الدلالة على كونه منزهاً.

**وثانيها:** إنه لم يقل: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بل قال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ والسبب فيه أن هذه المناظرة إنما وقعت مع عبدة الأوثان إلا أن الدليل الذي ذكره الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ يفيد الرد على كل من أثبت لله شريكاً، ثم إنه بعد أن ذكر هذا الدليل العام نبه على نكتة خاصة لعبدة الأصنام وهي أنه كيف يجوز للعاقل أن جعل الجماد الذي لا يحسّ ولا يعقل شريكاً في الإلٰهية لخالق العرش العظيم وموجد السمٰوات والأرضين وأما قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23] فاعلم أنه تعالى علق هذه الآية بما قبلها لأن[2] عمدة من أثبت لله شريكاً ليست إلا طلب الكميّة في أفعال الله تعالى، وذلك لأن الوثنية والمجوس وهم الذين أثبتوا لله شريكاً عوّلوا في تقرير[3] مذهبهم على نكتة واحدة وهي أننا نرى في العالم خيراً وشراً ،ولذة وألماً، وصحة وسقماً، وحياة وموتاً، وغنى وفقراً، وقد ثبت في العقول أن فاعل الخير خير وفاعل الشر شرّ ويستحيل أن يكون الفاعل الواحد خيراً وشراً معاً، فلا بد من فاعلين ليكون أحدهما فاعلاً للخير والآخر فاعلاً للشرّ، ويرجع حاصل هذه الشبهة إلى أن الفاعل الحكيم لا يجوز أن يخصّ

(1) قال في الأصل ثم قال.
(2) لأن في الأصل: أن.
(3) تقرير في الأصل: تقدير.

بعض عبيده بالفقر والألم والموت فيرجع حاصل الكلام إلى طلب الكمية في أفعال الله.

**والجواب**: الأصل لهذه الشبهة أن أفعال الله لا تُعلّل، وله أن يفعل كل ما يشاء، فلمّا كان مدار المثبتين لشريك الله على طلب الكمية من أفعال الله فلا جرم أنه تعالى بعد أن ذكر الدليل الدال على التوحيد ذكر ما هو النكتة الأصلية في الجواب عن شبهة القائلين بالشريك، لأن الترتيب الحسن في المناظرة أن يقع الابتداء بذكر الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده بما هو الجواب المعتمد عن شبهة الخصم. فإن قال قائل: فما الدليل العقلي على أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وأنه لا يجوز تعليل أفعاله وأحكامه برعاية المصالح؟

**قلنا: أما أصحابنا أهل السنة فقد استدلوا عليه من وجوه:**

**الحجة الأولى:** أنه لو كان كل شيء معللاً بعلة لكانت عليّة تلك العلة بعلة أخرى، ولزم إما الدور وإما التسلسل وهما محالان فلا بد من قطع السلسلة من الانتهاء إلى ما يكون غنياً عن العلة وأولى الأشياء بذلك ذات الله وصفاته فكما أن ذاته منزهة عن الافتقار إلى المؤثر والعلة وصفاته مبرأة عن الافتقار إلى المبدع والمخصص، فكذلك فاعليته وجب أن تكون مقدسة عن الافتقار إلى الموجب والمؤثر.

**الحجة الثانية:** فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة إما أن تكون واجبة أو ممكنة، فإن كانت واجبة لزم من وجوبها كونه تعالى فاعلاً وحينئذ يكون واجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار[1]، وإن كانت ممكنة كانت تلك العلة أيضاً فعلاً لله تعالى فيفتقر كونه تعالى فاعلاً لها إلى علة أخرى ولزم التسلسل.

**الحجة الثالثة:** علة تلك الفاعلية إن كانت قديمة لزم كون الفاعلية قديمة فيلزم كون المفعول قديماً وهذا خلف، وإن كانت محدثة افتقرت إلى علة أخرى ولزم التسلسل.

---

(1) بالاختيار في الأصل لاختيار.

**الحجة الرابعة:** أن من فعل فعلاً لغرض فإما أن يكون قادراً على تحصيل الغرض[1] بدون تلك الواسطة أو لا يكون قادراً عليه، فإن كان الأول كان توسط تلك الواسطة عبثاً وإن لم يكن قادراً عليه كان عاجزاً، وذلك على الله محال بخلاف الواحد منّا فإن العجز علينا جائز فلا جرم أفعالنا كانت معللة بالأغراض.

**الحجة الخامسة**[2]: لو كان فعله تعالى معللاً بغرض لكان ذلك الغرض إما أن يكون عائداً إلى الله تعالى أو إلى العباد، والأول محال لأنه منزه عن النفع والضر وإذا بطل هذا تعيّن أن الغرض لا بد أن يكون عائداً إلى العباد، ولا غرض للعباد إلا حصول اللذات وعدم حصول الآلام، والله تعالى قادر على تحصيلها ابتداء من غير شيء من الوسائط، وإذا كان كذلك استحال أن يفعل شيئاً لأجل شيء.

**الحجة السادسة:** لو فعل فعلاً لأجل غرض لكان ذلك الغرض وعدمه بالنسبة إليه إما أن يكون على السوية أو لا يكون، فإن كان على السويّة استحال أن يكون غرضاً وإن لم يكن على السوية لزم كونه سبحانه ناقصاً لذاته مستكملاً بغيره وهو محال.

**فإن قلت:** وجود ذلك الغرض وعدمه إن كان بالنسبة إليه على السواء أما بالنسبة إلى عباده فالوجود أولى من العدم.

**فنقول:** تحصيل تلك الأولوية للعبد وعدم تحصيلها له إما أن يكون بالنسبة إلى الله على السوية أو لا على السوية وحينئذ يعود التقسيم الأول.

**الحجة السابعة:** أن الموجودات بأسرها مملوكة له ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له: لِم فعلت؟

**الحجة الثامنة:** من قال لغيره: لم فعلت ذلك؟ فهذا السؤال إنما يحتمل حيث يقدر السائل على منع المسؤول عنه عن فعله وذلك من العبد في حق الله تعالى محال، فإنه لو فعل أي فعل شاء فالعبد كيف يمنعه عن ذلك فإن المنع إنما يحصل بأن يهدده بالعقاب والإيلام، وذلك محال على الله تعالى أو بأن يهدده باستحقاق الذم

---

(1) تحصيل الغرض في (ب) تحصيل ذلك الغرض.

(2) الحجة الخامسة من هنا إلى قوله: الفصل الثامن إلخ ساقط من (ب).

والخروج عن الحكمة والاتصاف بالسفه على ما يقوله المعتزلة وذلك أيضاً على الله محال لأن استحقاقه للمدح واتصافه بصفات الحكمة والجلال أمور له ذاتية، وما ثبت لشيء لذاته مستحيل أن يتبدل لأجل تبدل الصفات العرضية فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز أن يقال لله في أفعاله لم فعلت كذا. فظهر صدق قول مشايخنا رحمهم الله أن كل شيء صنعه لا علة لصنعه. أما المعتزلة فإنهم سلموا أنه يجوز أن يقال لله تعالى لم فعلت، لكنهم بنوا الجواب عن شبهة الثنوية على أصل آخر وهو أنه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنياً عنها، ومن كان كذلك فإنه يستحيل أن يفعل القبيح وإذا عرفنا ذلك عرفنا إجمالاً أن كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب، وإذا كان كذلك لم يجز للعبد أن يقول لله: لم فعلت هذا فظهر بما ذكرنا على اختلاف المذهبين صدق قوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ وإذا ظهر ذلك سقطت شبهة الثنوية في إثبات الشريك وبالله التوفيق.

obeikandl.com

# الفصل الثامن:
# في الأحكام الفقهية المتفرعة على قولنا لا إله إلا الله

**اعلم أن الإيمان لا بد له من أمرين:**

**أحدهما**: وهو الأصل[1] حصول المعرفة في القلب وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19].

**وثانيها**: الإقرار باللسان بالتوحيد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] وذلك لأن قوله ﴿قُلْ﴾ أمر للمكلف بأن يقول بلسانه ما يدل على التوحيد ثم تأكدت هذه الدلالة بالسنة الغرّاء وهي قوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله»**[2]. والسبب في أنه لا بد من هذا القول هو أن للإيمان أحكاماً بعضها يتعلق بالباطن وبعضها بالظاهر فما يتعلق بالباطن فهو أحكام الآخرة وذلك متفرع على العلم الذي هو باطن عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو أحكام الدنيا، ولا يمكن[3] إقامتها إلا بعد معرفتنا أنه مسلم ولا معرفة إلاّ بالقول باللسان فصارت المعرفة ركناً أصلياً في حق الله تعالى، والقول ركناً شرعياً في حق الخلق، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: 221].

وقال ﷺ: **«من قال: لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة»**[4] وقال الشيخ أبو علي الدقاق[5]: من قالها مخلصاً من قلبه[6] دخل الجنة في حالته؛ قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ

---

(1) وهو في الأصل في (أ) وهو أن الأصل.
(2) تقدم تخريج هذا الحديث.
(3) ولا يمكن في (أ) وما يمكن.
(4) هو عند ابن حبان (4 و7) من حديث جابر وعند أبي نعيم في الحلية (7/ 312) من حديث معاذ (9/ 254) ومن حديث زيد بن أرقم.
(5) أبو علي الدقاق في (ب) علي بن الدقاق.
(6) من قلبه ساقط من (ب).

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: 46] جنّة في الوقت وهي جنّة المعرفة، وجنّة غداً وهي جنة الآخرة.

اختلف المحققون فقال الأكثرون: الأولى أن يكون الذكر في الابتداء قوله: لا إلٰه إلّا الله وفي الانتهاء الاختصار على ذكر كلمة: الله.

ومنهم من واظب في الابتداء والانتهاء على ذكر: لا إلٰه إلّا الله.

**وحجة هؤلاء:** أنّ عالم القلب مشحون بغير الله فلا بد من كلمة النفي لنفي الأغيار، فإذا صار خالياً فحينئذ يوضع سرير[1] التوحيد ويجلس عليه سلطان المعرفة.

**وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة: الله، فلهم فيه وجوه:**

**الحجة الأولى:** أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب.

**الحجة الثانية:** أن من[2] قال: لا إلٰه إلّا الله فلعلّه حين ذكر كلمة النفي لم يجد من[3] المهلة ما يصل فيه إلا الإثبات فحينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار.

**الحجة الثالثة:** أنّ المواظبة على هذه الكلمة مشعر بتعظيم الحق ـ جلّ وعلا ـ بنفي الأغيار، إلّا أن نفي الأغيار من باب الاشتغال بالأغيار والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار، وذلك ممتنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال: لا إلٰه إلّا الله فهو مشتغل بغير الحق ومن قال: الله فهو مشتغل بالحق؛ فأين أحد المقامين من الآخر؟!

**الحجة الرابعة:** أن نفي الشيء إنّما يحتاج إليه عند خطور[4] ذلك الشيء بالبال وخطور شريك الله بالبال لا يكون إلّا من نقصان الحال، وأمّا الكاملون الذين لا يخطر

---

(1) سرير هكذا في (ب) وهامش (أ).
في (أ) وهامش (ب) (منير).
(2) من في هامش (ب) زيادة (كلّ).
(3) لم يجد من المهلة في (أ) لا يجد المهلة.
(4) خطور: في (ب) هنا وما بعده حضور.

ببالهم وجود الشريك امتنع أن يكلفوا بنفي[1] الشريك بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا يخطر في خيالهم إلّا ذكر الله فلا جرم يكفيهم أن يقولوا: الله.

**الحجة الخامسة:** قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91] فأمر بذكر الله ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم، والقول بالشريك من الأباطيل، ففيه خوض في ذلك الكلام فكان الأولى الاقتصار على قولنا: الله، فهذا ما في هذا المقام وهٰهنا أنواع من التضرّعات.

**أحدها:** أن نقول: إلٰهنا[2]! أن موسى عليه السلام سأل أجلَّ الأشياء فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وسأل أقلّ الأشياء فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24] فنحن أيضاً نسألك أجلّ الأشياء وهي خيرات الآخرة وأقلّها وهو خيرات الدنيا فنقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201].

إلٰهنا! يحكى أن رجلاً باع جارية ثم ندم فاستحيا أن يظهر هذه الحالة للمشتري ولسائر الناس فكتب في كفّه حاجته ورفعها إلى السماء ولم يقل بلسانه شيئاً، فرأى المشتري في المنام [الله تعالى يقول له]: إن فلاناً من أوليائي قلبه مشتغل بهذه الجارية فردّها عليه وأجرُك عليّ، فلما أصبح الرجل[3] حَمَل الجارية إليه[4] وردّها عليه، فلمّا أراد البائع أن يرد الذهبَ قال المشتري: إن لهذا[5] الثّمن ضامناً هو خير منك. إلٰهنا! إن كان ذلك البائع ندم على بيع تلك الجارية فنحن ندمنا على بيع[6] الآخرة بالدنيا، وإن كان ذلك البائع قد استحيا من العود فنحن من كثرة ذنوبنا نستحيي منك، وإن كان ذلك البائع قد كتب على كفه[7] شيئاً من حاجته[8] ورفعها إلى السماء فجميع أعضائنا مكتوب عليها احتياجنا إلى رحمتك وذلنا بين يديك، فهاهنا وكما ضمنت دَين

(1) يكلفوا ينفي: في (أ) يكلفه انتفاء.
(2) إلٰهنا ساقط من (ب).
(3) أصبح الرجل في (أ) فلما أصبح حمل الرّجل.
(4) إليه: ساقط من (ب).
(5) لهذا: في (ب) لذلك.
(6) على بيع: في (ب) على أن بعنا.
(7) على كفه: في (ب) في كفه.
(8) شيئاً من حاجته: في (ب) حاجته.

المشتري[1] فاقبل ديننا، وأسقط عنا تبعات أعمالنا، وافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله يا من لا يشغله شأن من شأن!

إلٰهنا! يروى في الخبر[2] أن عليّ بن أبي طالب ﷺ كان له مؤذن وكانت له جارية فقالت الجارية: يا مولاي إن المؤذن[3] يقول لي: إنّي أحبّك، فقال ﷺ: فقولي[4] له أيضاً: وأنا أحبّك، وانظري ماذا يقول[5] فلمّا قالت له الجارية: ذلك، قال المؤذن لها: أصبرُ واصبري[6] حتى يحكم[7] الله بيننا، واستحقر[8] نفسه ولم يرها أهلاً للطلب من عليّ [فسكت] فقالت الجارية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ذلك فطلبه علي ﷺ وزوّجها منه، إلٰهنا! المؤذن لما استحقر نفسه ولم ير نفسه أهلاً لذلك الطلب طلبه عليّ وأكرمه بها، وأنت العليّ الأعلى، وأنت أكرمُ الأكرمين، وأرحم الراحمين، ونحن لا نرى أنفسنا أهلاً لطلب رحمتك لحقارة أنفسنا في أعيننا، فلا تحرمنا فيض رحمتك وآثار جودك يا من لا يبرمه إلحاح الملحّين!

إلٰهنا! يروى[9] أن أبا بكر الصديق ﷺ كان يخافت في صلاته بالليل، ولا يرفع صوته بالقراءة، وكان عمر يجهر في صلاته في الليل[10]، فسأل رسول الله أبا بكر عن فعله فقال: من أناجيه يسمع كلامي، وسأل عمر فقال: أوقِظ الوسنان وأطرد الشيطان وأرضي الرحمٰن، فأمر رسول الله ﷺ [أبا بكر] حتى يرفع صوته قليلاً، وأمر عمرَ حتى يخفض صوته[11] قليلاً.

---

(1) دَين المشتري، في (ب) دَين الغرماء.
(2) في الخبر: ساقط من (ب).
(3) إن المؤذن في (ب) إن هذا المؤذن.
(4) فقولي في (أ) قولي.
(5) وانظري ماذا يقول في (ب) فماذا تريد.
(6) أصبرُ واصبري في (ب) فأصبر.
(7) حتى يحكم في (ب) إلى أن يحكم.
(8) واستحقر من هنا إلى فحكت ساقط من (ب).
(9) يروى إلخ رواه أحمد (1/ 109) من حديث عليّ والترمذي (447)، وأبو داود (1329) من حديث أبي قتادة والترمذي (1330) من حديث أبي هريرة.
(10) يجهر في صلاته في الليل في (ب) يجهر بها.
(11) يخفض صوته في (ب) يخفضه.

إلٰهنا! الإيمان فينا كالرسول، والقلب كأبي بكر واللسان مثل عمر، فالقلب يخافت بالذكر مثل أبي بكر واللسان يظهر [خفايا][1] الذكر مثل عمر، والإيمان يأمر القلب بالزيادة في الفكر ويأمر اللسان بإخفاء الذكر، فوفقنا لما تحب وترضى بفضلك يا أكرم الأكرمين.

**فصل**[2]: ومن العارفين من اختار السكوت عن الكل في النهاية قال ﷺ[3]: «**من عرف الله كَلَّ لسانه عن ما سوى الله**» أي: إلّا عن ذكر الله[4]، ويروى أن الجنيد كان في الكلام فزعق الشبلي وقال: الله، فقال الجنيد: الغيبة حرام. ومعناه: إنّك إن كنت غائباً فذكر الغائب غيبة وإن كنت حاضراً فذكر الاسم في الحضرة سوء أدب، وتمام التحقيق[5] في هذا المقام سيأتي إن شاء الله تعالى.

**فصل**: روى الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نفس تموت فتشهد أن لا إله إلّا الله وإني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله [لها]**»[6].

قال الشيخ: فهذه شهادة شهد بها عند الموت وقد ماتت منه الشهوات ولانت نفسه المتمرِّدة من هول الموت، وذهب حرصه، وألقى نفسه بين يدي قدرة ربّ العالمين، فاستوى منه الظاهر والباطن فلقى الله مخلصاً بتلك الشهادة؛ فغفر الله له بتلك الشهادة الصادقة التي وافق ظاهرها باطنها.

أمّا الذي يقول أيام الصحة فقول مع التخليط؛ لأنّه يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات، ونفسه أشرة بطرة فلا يستوجب بذلك القول المغفرة. فهذا هو التفاوت بين ذكر الشهادة حال الصّحة وذكرها في آخر زمن الحياة.

وتمام القول فيه: أن الإنسان الذي يكون قلبه مفتوناً بدنياه ومأسوراً في

---

(1) [خفايا] في (أ) (باخفا) والظاهر أن فيه قلباً في (ب) الكلمة ساقطة.
(2) فصل: هذه الكلمة ساقطة من (ب).
(3) قال صلى إلخ: لم نره فيما لدينا من المراجع.
(4) عن ما سوى إلى عن ذكر الله: ساقط من (ب).
(5) وتمام التحقيق: من هنا إلى قوله: من قال لا إله إلا الله وحده. ساقط من (ب).
(6) [لها] زيادة يقتضيها السياق.

الشهوات سكران عن الآخرة، حيران عن الله، لم يحصل فيه اليقين ألبتة؛ لأن قلبه مملوء بالميل إلى غير الله فلا يحصل فيه الميل إلى الله.

أمّا إذا حصل في القلب اليقين بالله كان الأمر بخلاف ذلك، لأن اليقين سُمي يقيناً لاستقراره في القلب وهو النور، يقال: يقن الماء في الحفرة إذا استقرّ، فإذا استقر النور دام وإذا دام صارت النفس صاحب بصيرة؛ فاطمأنّ القلب بجلال الله ثم انقطع عن غير الله فوقف هناك عاجزاً فاستعان بالله صارخاً مضطراً فأجابه الحق ﷻ: بأنه يُجيبُ دعوة المضطرّين، فيفرق ذلك النور المتلألىء في القلب يفلق به ظلمات الاشتغال بغير الله، فيصير أمر الملكوت شاهداً له، وهو قول حارثة لرسول الله ﷺ حيث قال: كأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً، فقال رسول الله ﷺ: **«عبد نوَّر الله الإيمان في قلبه»**، وقد جاء في الأخبار أنّ إدريس وموسى ومحمداً صلوات الله عليهم وسلامه كلّ واحد منهم كان في زمانه مواظباً على هذا الدعاء: «يا نور كل شيء أنت الذي فلق الظلمات نوره» وما يحقق ما قلناه قوله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»** مخلصاً بها روحه مصدقاً بها قلبه ولسانه فتقتْ له السمٰوات فتقًا حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا[1]. وعن زيد[2] بن أرقم قال: قال ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»** قيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال: **«أن تحجره عن المحارم»**[3] وقال عليه السلام: **«اخلص يكفك القليل»** وعن زيد بن أرقم قال ﷺ: **«أن الله عهد إليّ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئاً إلا وجبت له الجنة»** قالوا: يا رسول الله وما الذي يخلط بها؟ قال: **«حرصاً على الدنيا وجمعاً لها ومنعاً لها**[4]**، يقول بقول الأنبياء ويعمل عمل الجبابرة**[5]**»**. والحاصل أنه لا بد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى تكون نافعة[6] ولا يحصل اليقين بها إلّا بموت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات **إلاّ بأحد الطريقين**:

---

(1) لم نره فيما لدينا من المراجع.

(2) وعن زيد بن أرقم من هنا إلى قوله: قال ﷺ: إنّ الله عهد، ساقط من (ب).

(3) انظر: معجم الطبراني (5074)، ورواه الحاكم (4/ 306)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 244) من حديث معاذ.

(4) لها: ساقط من (أ).

(5) رواه الترمذي في نوادر الأصول، وهو ليس بصحيح على قاعدة السيوطي.

(6) ولا يحصل من هنا إلى قوله قال علي عليه السلام قال رسول الله إلخ ساقط من (ب).

**أحدهما**: أن يروِّض نفسه حتى تموت شهوته حال حياته.

**والثاني**: إنسان ماتت شهواته عند وفاته وعظم رجاؤه وخوفه عن ربه وانقطع فكره عن غير الله بالكلية اضطراراً فإذا نطق بهذه الكلمة في تلك الحال استوجب المغفرة فلهذا السبب استحب السلف أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة فقال ﷺ: «**لقنوها موتاكم**» فالإنسان عند القرب من الموت فنيت شهواته فحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة مقبولة منه. وأما الأول وهو الذي يروِّض نفسه فقد فتح له روزنة إلى الغيب فركبته أهوال سلطان الجلال فنطق بها عن القلب الصافي فهو بالمغفرة أولى.

وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**» فقالوا: يا رسول الله فكيف هي للحيّ؟ قال: «**هي أجود وأجود**»[1] وكان أهل البيت يسمّون هذه الكلمات كلمات الفرج فيتكلمون بها في النوائب والشدائد فيجيئهم الفرج وفيه زيادة كلمة لا إله إلّا الله العلي العظيم. وعن مكحول أن كلمات الفرج: لا إله إلّا الله العلي العظيم لا إله إلّا الله الحليم الكريم رب السمٰوات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين. وقال علي بن أبي طالب ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلّمك كلمات إذ قلتها غفرت لك ذنوبك وإن كانت مثل عدد الذر من الخطايا لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان الله رب السمٰوات السبع**[2] **ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**».

**فصل**[3]: يروى أنه كان صنفان يتقابلان من المسلمين والكفار، والكفار كانوا نصارى فقال الكافر للمسلم: لمن تقاتل؟ قال المسلم: عن الواحد، فقال النصراني: بل أنا أقاتل عن ثالث ثلاثة، فلمّا تقابلا صرع المسلم الكافر وجلس على صدره وقال: نصرني الواحد وضيّعك الثلاثة. قال جعفر بن محمد الصادق: عجبت لمن بُلي بأربع كيف يغفل عن أربع. عجبت لمن أعجب بأمر كيف لا يقول: ما شاء الله لا قوة إلّا بالله وأنه تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾

(1) رواه ابن ماجه (1446) والطبراني في الكنى والحكيم الترمذي في نوادر الأصول.
(2) السبع ساقط من (أ).
(3) فصل يروي إلخ من هنا إلى قوله اعلم أن الله تعالى ذكر ساقط من (ب).

[الكهف: 39] وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول: حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 173 - 174] وعجبت لمن خاف من مكر مُكر به كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: 44 - 45] وعجبت لمن أصابه غمّ أو كرب كيف لا يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] إلى قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾. وقال سفيان بن عيينة أنه تعالى لما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد وعد كل مؤمن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أن ينجيه من كل غمّ، ومن المعلوم بالضرورة أن الله لا يخلف الميعاد.

(فصل) اعلم أنه تعالى ذكر كلمة لا إله إلاّ الله في القرآن العظيم[1] في سبع وثلاثين موضعاً.

**اثنان في سورة البقرة[2]:**

1: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163].

2: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255].

**وأربعة في آل عمران:**

3: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 1-2].

4: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

5: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ [آل عمران: 18].

6: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

---

(1) العظيم ساقط من (أ).

(2) اثنان من البقرة من هنا إلى قوله اتفق مشايخ الطريقة إلخ ساقط من (ب).

**وواحد في سورة النساء:**

7: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87].

**واثنان في الأنعام:**

8: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102].

9: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام: 106].

**وواحد في الأعراف:**

10: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: 158].

**واثنان في التوبة:**

11: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

12: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 129].

**وواحد في يونس:**

13: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90].

**وواحد في هود:**

14: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: 14].

**وواحد في الرعد:**

15: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30].

**وواحد في النحل:**

16: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: 2].

**وثلاثة في طٰه:**

17: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8].

18: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: 14].

19: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98].

**واثنان في الأنبياء:**

20: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

21: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

**وواحد في المؤمنين:**

22: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 116].

**وواحد في النمل:**

23: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26].

**واثنان في القصص:**

24: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 70].

25: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88].

**وواحد في فاطر:**

26: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: 3].

**وواحد في الصافات:**

27: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: 35].

**وواحد في الزمر:**

28: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: 6].

**وثلاثة في غافر:**

29: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: 3].

30: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: 62].

31: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: 65].

**وواحد في الدخان:**

32: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان: 8].

**وواحد في محمد:**

33: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: 19].

**واثنان في الحشر:**

34: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22].

35: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23].

obeikandl.com

**وفي التغابن واحد:**

36: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13].

**وفي المزمل واحد:**

37: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9].

فهذا مجموع سبعة وثلاثين من كلمات لا إله إلاّ الله وردت في القرآن العظيم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

**فصل**: في أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى. اتفق [عليه] مشايخ الطريقة وعلى هذا[1] نقل الأستاذ أبو القاسم القشيري في كتاب «الرسالة من باب التوحيد» عن يوسف بن حسين أنه قال: سمعت ذا النون المصري ـ وقد سئل عن التوحيد ـ فقال: أوَ لَم تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج وصنعه الأشياء بلا علاج، عِلَّةُ كُلِّ شيء صنعه، ولا علّة لصنعه، ومهما تصور في نفسك شيء فالله بخلافه.

**وأقول**: لما كان كُلُّ ما تصورته النفس فالله بخلافه لم يتمكن العقل والنفس من الإشارة إلى حقيقة معلومة بأن حقيقة الإله هي هذه الحقيقة.

**وقال أيضاً**: أعرف الناس بالله أشدهم تحيُّراً فيه. ويروى عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله فقال: ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته، والقلوب تعرفه والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطةٍ ولا إدراك نهاية.

**وروى عنه أيضاً** أنه قال: غاية المعرفة الدهشة والحيرة. وقال يوسف بن حسن: من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على مرّ الأيام إلاّ ظمأ. ووقف رجل على حسين بن منصور فقال: أين الحق الذي تشيرون إليه؟ فقال: غفل الأنام ولا يغفل.

**وقيل للشبلي**: أخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد، فقال: من أشار إليه فهو ثَنَويٌّ ومن كيّفه فهو وثنيٌّ، ومن نطق فيه فهو غافل[2] ومن سكت عنه فهو

---

(1) وعلى هذا من هنا إلى قيل للشبلي ساقط من (ب).

(2) غافل في (ب) عاقل.

جاهل، ومن وهم أنّه واصل فليس له حاصل، ومن ظنّ أنه قريب فهو بعيد، ومن توهم أنه واجد فهو فاقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم، وقال الشبلي أيضاً: ما شم روائح[1] التوحيد من تصور عند التوحيد. وقال ابن عطاء: العبد خلق آلة للعبودية لا للإشراف على الربوبيّة.

**وقال آخر**[2]: العقل يجول حول الكون فإذا نظر إلى [المكوّن][3] ذاب. واعلم أن من الناس من احتج في هذه المسألة بآيات، أولها قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91] قال أهل التفسير: أي ما عرفوه حق معرفته، من قدر الثوب إذا حزره وأراد معرفة قدره[4].

**واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هذه الآية وردت في ثلاثة مواضيع:**

**أولها**: في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فهؤلاء الذين قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ كانوا منكرين لكل النبوات[5]، ومن كان كذلك كان كافراً فقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ عائد إلى هؤلاء.

**وثانيها**: قال تعالى في سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

ولمّا كان الكلام الأول مع عبدة الأوثان، كان[6] هذا الكلام عائداً إليهم.

**وثالثها**: قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ثم قال بعد هذا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

---

(1) روائح: في (ب) رائحة.
(2) وقال آخر: من هنا إلى قوله: ما قدروا الله ساقط من (ب).
(3) [المكون] في الأصل: الكون.
(4) قدره: في (ب) مقداره.
(5) النبوات: في (أ) النبوة.
(6) هذا: ساقط من (أ).

﴿قَدْرِهِۦ﴾ فيكون هذا الكلام عائداً إلى الذين أشار إليهم قبل هذه الكلمة بقوله[1]: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: 64].

وإذا أثبت هذا فنقول: قوله[2] تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ عائد[3] في الآية الأولى إلى من أنكر نبوّة كل الأنبياء، وفي الآية الثانية والثالثة إلى عبدة الأوثان.

فهذه الآية في المواضيع الثلاثة عائدة إلى الكفار. ولا يلزم من وصف الكفار بهذا الوصف أن يكون المؤمنون أيضاً كذلك[4]، وهذا سؤال حسن بل لمن يدعي كمال المعرفة أن يتمسك بهذه الآية لأنه تعالى لمّا جعل قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ عيباً على الكفار وطعناً فيهم وجب أن يكون حال المؤمنين بخلاف ذلك.

ومما اشتهر التمسك به في هذه المسألة قوله تعالى في سورة طه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110] وأُجيب[5] عنه بأن قيل: لِم لا يجوز أن يكون المراد من الآية يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون علماً بما بين أيديهم وما خلفهم فالضمير[6] في قوله: به لا يكون عائداً إلى الله بل إلى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورين هو الأولى. واعلم أن العمدة في هذه المسألة أن الله ﷻ غير متناه في الذات والصفات[7]، والعقل متناه في الذات والصفات، والمتناهي لا سبيل له إلى إدراك غير المتناهي وهذا هو النكتة، ونحن نشرحها لتظهر قوّتها؛ فعقول الخلق[8] عاجزة عن معرفة كونه تعالى قديماً أزلياً، وذلك لأن كل ما يتحضره العقل استحضاراً على سبيل التفصيل من مقادير الأزمنة فذاك متناه، مثلاً نفرض قبل هذا الوقت ألف ألف سنة، ونفرض بحسب كل لمحة من هذه المدة ألف ألف سنة وهكذا إلى أقصى ما يقدر الوهم والخيال على استحضاره، ثم إذا

(1) بقوله في (أ) لقوله.
(2) فنقول قوله في (ب) فقوله.
(3) عائد في من هنا إلى قوله الآيات الثلاث ساقط من (ب).
(4) أن يكون المؤمنون أيضاً كذلك في (ب) كون المؤمنين موصوفين بهذا الوصف.
(5) وأجيب من هنا إلى قوله بما بين أيديهم من (أ).
(6) فالضمير من هنا إلى قوله لان عو ساقط من (ب).
(7) والعقل إلى والمتناهي ساقط من (ب).
(8) فعقول الخلق عاجزة في (ب) فنقول العقل عاجز.

تأمّل العقل عرف أن كل ذلك متناهي الأول[1] وهو إنما كان قديماً أزلياً لأنه كان موجوداً قبل هذه المدة التي أحاط العقل والخيال بها؛ فثبت أن كل مقدار يصل العقل والخيال إليه، فالحق ﷻ ليس[2] قديماً باعتبار أنه كان موجوداً في ذلك[3] الوقت، فإذاً لا سبيل للعقل ألبتّة إلى معرفة القدم والأزلية. وإذا عرفت هذا في كونه أزلياً قديماً فاعرف مثله في كونه دائماً أبديّاً؛ فإذاً العقل ليس له ألبتة سبيل إلى معرفة كونه أزلياً ولا إلى معرفة كونه أبديّاً دائماً، على سبيل التفصيل فإن كل ما يشير إليه العقل فأزليته وأبديته خارجتان عن ذلك التصور[4].

**وأيضاً إذا قلنا**: موجود[5] ليس بجوهر ولا عَرَض ولا محلّ[6] ولا حالّ فهو نقيض معرفته[7] فهذا ليس يقتضي معرفة ذات الله لأنا أردنا بقولنا: موجود ما ينافيه[8] العدم، وهذا المفهوم المناقض للعدم أمر يصدق على جميع الموجودات، وحقيقة الحق لا توجد في شيء سواه، فالعلم بكونه موجوداً ليس علماً بحقيقته المخصوصة، وأما العلم بأنه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم فهذا علم بعدم هذه الأشياء، وليس علماً بحقيقته؛ لأن حقيقته ثابتة، والسلب لا يكون نفس الثبوت فيمتنع أن تكون حقيقته هي نفس أنها ليست بجوهر ولا بجسم ولا بعرض.

فثبت بمجموع ما ذكرنا أنه لا سبيل للعقول إلى معرفة حقيقته وما يحقق ما ذكرنا أن العقلاء اتفقوا على أن كل صفة شاهدها الحِسّ وأدركها العقل في المكونات فلو وصف الحق بها صار جهلاً، فإذًا لا سبيل إلى معرفة الحق إلّا بنفي كل ما عرفه؛ ولهذا اتفقوا على أنّ أحسن كلمة قيلت في التوحيد ما قاله علي بن أبي طالب ﷺ، هو: أنّ المعرفة أن تعرف أنّ[9] كلّ ما يتصور في ذهنك فالله بخلافه.

---

(1) متناهي الأول في (ب) متناه له أوّل.
(2) ليس ساقط من (ب).
(3) في ذلك في (ب) في ما وراء ذلك.
(4) خارجتان عن ذلك الصور في (أ) خارجة عن ذلك المقصود.
(5) موجود ساقط من (أ).
(6) في (أ) محال.
(7) فهو نقيض معرفته ساقط من (ب).
(8) ينافيه في (ب) يناقض.
(9) أنّ: ساقط من (أ).

**ثُمَّ قال المحققون:** لمّا كان كلُّ ما تصور في ذهنك فالله بخلافه فلو تصور في وهمك من ذلك الخلاف شيء فالله بخلافه، ثم لو تصور في هذه المرتبة الثانية أمر آخر لزم نفيه فلم يبق للعقل في طريق معرفة الحق إلى أن يَنفي كلَّ شيء[1] وقع في خاطرك، ثم إذا وقع من هذا النفي شيء[2] في ذهنه اشتغل بنفيه أيضاً وهكذا في النفي الثالث والنفي[3] الرابع إلى غير النهاية، فلو بَقي العبد أبد الآباد ودهر الداهرين لكان مشغولاً بنفي شغل القلب عن هذه الواردات وإزالة هذه التصورات، وإذا كان الأمر كذلك بقي الحق تعالى منزّهاً عن لواحق فكره وإشارات عقله وعلايق ضميره وذكره.

**الحجة الثانية:** هي أن الإنسان عاجز عن معرفة نفسه فإنه إن قيل: أنّ نفسه هو هذا الهيكل المشاهد فهو باطل من وجهين:

**الأوّل:** أن الإنسان قد يعرف ذاته حال ما يكون غافلاً عن جميع أعضائه الظاهرة والباطنة والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم.

**الثاني:** أن ذاته من أول عمره إلى آخر عمره شيء واحد، وأجزاء بدنه غير باقية، والباقي مغاير لغير الباقي، فثبت أنّه ليس عبارة عن هذا الهيكل المحسوس ثم بعد هذا يحتمل أن يقال أنه جسم في داخل هذا الهيكل إما في القلب فقط أو في الدماغ فقط أو يكون سارياً في كل البدن، ثم ذلك الجسم أهو من جنس الأجسام التي تولد البدن عنها أو هو جسم مخالف لهذه الأجسام في الماهية والحقيقة. ويحتمل أيضاً أن يقال أنه ليس بمتحيّز ولا حالّ في المتحيّز بل هو مدبر لهذا البدن على ما تقوله الفلاسفة.

واعلم أن هذه الاحتمالات بقيت من الزمان الأقدم إلى الآن وبعد ما زالت[4] الشكوك والشبهات، ولا شك أن أعرف المعارف في الشيء المشار إليه بقولي أنا فإذا كان حالي في معرفة أظهر الأشياء كذلك فكيف يكون حالي في معرفة أبعد الأشياء مناسبة عن علائق العقول وروابط الخيالات. وتحقيق الكلام فيه أن العقل كالشمع ولا شك أن كل ما كان أقرب إلى الشمع كان ضؤوه أكثر مما بعد عنه وأقرب الأشياء إلى

---

(1) شيء: في (ب) ما.
(2) شيء: ساقط من (أ).
(3) والنفي في (أ) ونفي.
(4) وبعد ما زالت في (أ) وما بعد وما زالت.

الشيء[1] نفسه فإذا كان نور العقل أضعف من أن يصير ذاته مضيئاً[2] فحضرة الجلال مع بعده عنه بغير نهاية كيف يصير مضيئاً به؟ ولهذا قال السنائي الشاعر بالفارسية:

أي شده درشنا سي خود عاجز  كي شناسى خداي را هوگز
چون تودر علم خود زبون باشي  عارف كردگار چون باشي[3]

واعلم أنه كما وقعت الشبهات المذكورة في معرفة النفس فقد وقعت أيضاً في معرفة حقيقة الزمان وحقيقة[4] المكان ،وتحير الخلق في أن القوة الباصرة كيف تبصر بخروج الشعاع أو بحصول الشبح في العين أو بحالة مغايرة لخروج الشعاع وحصول الشبح، وكذا القول في البحث عن القوة السامعة والذائقة وتحيروا أيضاً في البحث عن كيفية التخيلات فإن هذه الصورة المتخيلة إن لم يكن لها وجود أصلاً فكيف حصل فيها التمييز والتعيين؟ وإن كان لها وجود فهي قائمة بأنفسها أو بمحلها[5]، ومحلها شيء مجرد أو جسم والكل محال ممتنع. ولما كانت معرفة الخلق بهذه الأمور الظاهرة الجلية بلغت في الصعوبة إلى هذا الحد فما ظنك بمعرفتهم بمن تقدس عن مناسبة[6] العقول والأفكار وتنزه عن مشابهات الخيالات[7] والأنظار.

**الحجة الثالثة:** قد ثبت في العلوم الحقيقة أنه ﷻ هو النور المطلق وهو نور الأنوار وكما أن من وضع السراج في مقابلة الشمس انطفأ ولم يظهر ألبتة له أثر، فكذلك إذا وقع ضوء العقل في مقابلة نور جلال الله فني واضمحلّ وتلاشى، ولذلك قالوا[8]: بأن العقل يدور على المكونات فإذا وصل إلى حضرة مكون الأكوان ذاب.

واعلم أن القطرة إذا وقعت في البحر اضمحلت والشعلة إذا وقعت في مقابلة

---

(1) الشيء ساقط من (أ).
(2) فإذا كان... إلخ في (ب) نور العقل في الضعف إلى حيث لم تصر به ذاته مضيئاً.
(3) ترجمة البيتين:
يا من عجزت عن معرفة نفسك  متى تعرف ربك؟ لا تعرف ذلك قط
فإذا كنت عاجزاً عن العلم بنفسك  فكيف تكون عارفاً بالخالق؟
(4) الزمان وحقيقة ساقط من (أ).
(5) أو بمحلّها ساقط من (ب).
(6) مناسبة في (ب) مناسبات.
(7) الخيالات في (أ) الجليات.
(8) قالوا في (أ) قال.

قرص الشمس فنيت وبطلت، ونسبة القطرة إلى البحر والشعلة إلى الشمس أعظم من نسبة نور العقل إلى أنوار الجلال بل لا نسبة لأحد البابين إلى الآخر لأن القطرة متناهية والبحر متناه وللمتناهي إلى المتناهي نسبة وهكذا[1] الشعلة ،أما نور العقل فهو في غاية القصور في القلة[2] ونور جلال الله في غاية العظمة وعدم التناهي فلما اضمحلت القطرة في البحر والشعلة في الشمس فكيف يعقل بقاء ضوء العقل في حضور نور جلال الله وشروق أعلام كبريائه.

**الحجة الرابعة:** أن نسبة نور العقل إلى منبع الأنوار الروحانية كنسبة نور البصيرة إلى منبع الأنوار الجسمانية، وكما أن الشمس أظهر الأشياء من وجه وأخفاها من وجه آخر فكذلك منبع الأنوار الروحانية بالنسبة إلى عين البصيرة يكون أظهر الأشياء من وجه وأخفاها من وجه آخر.

**الحجة الخامسة:** العقل أضعف من العاقل لأن العقل صفة والعاقل موصوف، والصفة أضعف من الموصوف فإذا عجز العاقل عن المعرفة فلأن يعجز العقل مع غاية ضعفه كان أولى.

**الحجة السادسة:** من أمكنه إدراك شيء بتمامه وكماله فله قدرة بوجه ما عليه وقدرة المحدث ممزوجة بالعجز ومتناهية، والحق سبحانه واجب الوجود غالب لا يغلب قاهر لا يقهر فالمحدث الموصوف بالقصور والتناهي كيف يمكنه معرفة القديم الذي لا نهاية له.

**الحجة السابعة:** العقل لا يتصرف إلا فيما يكون في مكان أو زمان لأن كل ما أدركه فإنه يدركه إما في الماضي أو في المستقبل أو في الحال وكل ذلك بحسب الزمان وكل ما يتصوره فإنه إنما يتصوره إما ها هنا أو هناك وكل ذلك بحسب المكان، وإذا قلت الحق بخلاف هذه الأشياء فمعرفتك في هذه المعرفة ليس إلا نفي ما عرفته وتصورته فالحاصل فيه نفي غير الحق ونفي غير الحق لا يكون [هو] وجدان الحق.

**الحجة الثامنة:** اشتهر في أقوال الخلق قولهم: إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه فلم لم يكن الإنسان أعلم من غيره لا يمكنه أن يعرف مقداره ألا ترى أن الناس

(1) وهكذا في (ب) وكذلك.

(2) فهو في غاية القصور في القلة في (ب) فهو في غاية القلة والقصور.

يقولون: لا يقدر على التمييز بين فلان وفلان إلّا من كان أعلم منهما لأنه لا بدّ أن يعرف مقدار معلومات هذا ومقدار معلومات ذاك، ومقدار ما به ازداد أحدهما على الآخر وما انتقص منه[1] فهذا لا يتيسر إلا لمن كان أعلم من كل واحد منهما، فإذا كان لا يتيسر للناقص أن يحيط بمن هو أكمل منه في العرف في الشاهد[2] فكيف يتيسر للعقول الناقصة الإحاطة بجلال من جلاله غير متناهٍ.

**الحجة التاسعة:** العقل كالأنثى والفكر كالذكر فإذا حصل الازدواج بينهما تولدت المعرفة ولا شك أن الولد يكون على قدر قوة الأبوين، والعقل ناقص فكيف وهو عاجز عن معرفة نفسه والفكر ناقص وكيف ولا يمكنه أن يصون نفسه عن الغلط[3] وإذا كان الأبوان في غاية النقصان كيف يعقل أن يكون الولد في غاية الكمال فامتنع تولد مثل هذه المعرفة على غاية شرفها من هذين الأبوين.

**الحجة العاشرة:** إذا أدرك العقل شيئاً وقف عند مدركه وما انتهى إليه، وكل مدرك هذا شأنه فهو متناهٍ والحق لا نهاية له وهذا يوجب أن ذلك المدرك ليس هو الحق بل كان شيئاً غير الحق.

**الحجة الحادية عشرة:** قال ﷺ: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصبع[4] الرحمٰن**» وهذا عبارة عن كونه محدوداً مقصوراً مقلوباً متناهياً وما كان كذلك امتنع أن يكون له إحاطة بما لا نهاية له، **ومن النكت في هذا الباب وجوه:**

**الأول:** أخبر عن ضعف البشر فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73]، فمن بلغ عجزه إلى حيث لا يقوى على مقاومة الذباب فكيف يمكنه الوصول إلى كنه صمدية رب الأرباب؟

**الثاني:** قالوا: الرجل إذا كان في مفازة عظيمة واشتد به الحر ولم يكن هناك ماء أصلاً وألبتة، واشتد عطشه وغلبه خوف الفقدان فإلى أي جهة نظر ظنه ماء ورآه

---

(1) وما انتقص منه في (ب) أو انتقص منه.
(2) في العرف في الشاهد في (ب) في المعرفة وفي الشاهد.
(3) الغلط في (أ) عن النظر.
(4) أصبع في (ب) أصابع.

سراباً فإذا وصل إليه لم يجد عنده شيئاً كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ فكذلك العقول البشرية والأرواح الإنسانية وقعت في بيداء كبرياء الله تعالى فعظمت الأنوار وتعاكست الأشعة وغلبت حرارات الاشتياق إلى الوصول إلى حضرة الله تعالى، فكلما نظر إلى جانب ظنه ماء المعرفة فالمعطلة نظروا إلى جانب البادية فظنوا أن الماء هناك، والمشبهة نظروا إلى جانب[1] الإثبات فظنّوا أن ماء العرفان هناك وكذلك القدر والجبر والرفض والخوارج ثم إن كان كل واحد توجه إلى مقصده وصار إلى مطلبه فوصلوا إلى مطالبهم يوم القيامة فلم يجدوا هناك من هذا الحديث شيئاً كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ ثم الأقوياء لما عرفوا عظمة المفازة وعجز البشرية وحيرة العقول فرغوا[2] عن أنفسهم واستعانوا بإرشاده وهدايته فقال الخليل: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101]، وقال الكليم عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: 25- 26] وقال سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116] وقال الحبيب: «**أرنا الأشياء كما هي**».

**الثالثة**: قالوا: الصبيّ ينظر في المرآة فيرى فيها صورته[3] فيشتاق إلى أن يقرب من تلك الصورة، فيقرب من الصورة فيرى تلك الصورة أيضاً تقرب منه، فإذا رأى قرب الصورة منه حال قربه منها يشتدّ[4] طمعه في أخذها فيمدُّ يده إليها ليأخذها.

فإذا مدّ يده رأى حجاباً من الحديد ورأى الصورة مختفية[5] بحجب العزة وسرادقات القدرة، فهكذا القوة العقلية تنظر في مرآة[6]: «من عرف نفسه» فيلوح له تجلّي أنوار معرفة ربّه، فكلما كان نظر العين إلى هذه المرآة أشدّ كان هذا[7] التجلّي

(1) جانب ساقط من (أ).
(2) فرغوا في (أ) فروا.
(3) صورته في (أ) صورة.
(4) يشتد في (ب) أشتد.
(5) مختفية في (ب) مخفية.
(6) مرآة: في (أ) المرأة.
(7) هذا: في (ب) ذلك.

أعظم؛ فيشتاق العقل إلى الوصول إلى كنه الصمدية، فيمدُّ يد الطلب فيرى بين نفسه[1] وبين المطلوب سدّاً من الأزلية والقِدَم والاستغناء فيبقى وراء هذا السدّ عاجزاً مسكيناً، وبسبب مدِّ يد التصرف يزول ذلك التجلي محتجباً بسرادقات الكبرياء والعظمة والجبروت.

**الرابعة:** كان سوداوي[2] يحمل حملاً من القوارير، وكان يذهب به لأجل التجارة إلى بلد، فلمّا وصل إلى باب البلد وضع ذلك الحمل ثمّ قال: إني إذا دخلت هذه البلدة أبيع هذه القوارير وأشتري بأثمانها الغنم ثم يحصل من نتاجها وأولادها مال عظيم أشتري به[3] آلات المملكة، فإذا حصل الملك أتزوج بابنة الملك الفلاني ويحصل لي منها أولاد، ثم أحضر الأدباء والعلماء لتأديبهم وتعليمهم ففي أثناء ذلك ضرب يده على الحمل فسقط الحمل وانكسر الكلّ.

وهذا مثل لأكثر توهمات الخلق فإن كل أحد يظنّ أنّ ما معه من العلوم والأعمال يكون وسيلة له[4] إلى وجدان ملك الجنة والوصول إلى عتبة حضرة الله ـ جلّ وعزّ ـ فإذا جاء وقت الموت بطلت تلك الأوهام وزالت الأفكار وبقي المسكين على تراب الحرمان وموضع الذلة والعجز.

**الخامسة:** من أسمائه تعالى الجبّار، وهو مأخوذ من قولهم: (نخلة جبارة)، إذا لم تصل إليها الأيدي، فكذا هٰهنا الأفهام[5] لا تصل إلى صمديَّته؛ فالعبد له اليوم عرفان وجوده وغداً طلب جوده، وحقيقة الصمديّة منزهة عن الإحاطة والإدراك.

**السادسة:** للسيّارين[6] إلى الله ثلاث مقامات: الحكمُ والحقُ والأمرُ، ثم كلُّ ما دخل تحت الوجود أن عرضته على نفاذ الحكم كان الكلّ[7] حسناً لأن الكلَّ بتقديره وحكمه حصل.

---

(1) بين نفسه: في (ب) بينه.
(2) سوداوي في (أ) سواديّ.
(3) به آلات: في (ب) به الخيل والبغال ثم يحصل من نتاجها مال عظيم أشتري به آلات.
(4) له: ساقط من (ب).
(5) الأفهام: في (ب) الأوهام.
(6) للسيارين: في (ب) للسائرين.
(7) الكلّ: ساقط من (ب).

وإن عرضته على نفاذ الحق كان الكلّ قبيحاً لأن المعارف بالنسبة إلى حضرة جلاله جهل والعبادات بالنسبة إلى عتبة عزته تقصير.

أمّا إن عرضته على نفاذ الأمر كان البعض حسناً والبعض قبيحاً؛ فالحكم فضل محض والحق عدل محض والأمر تارة مع الفضل وتارة مع العدل.

فإن عُرضت على الحكم أعمال كل الخلق لم يكن شيء منها مردوداً، وإن عُرضت على الحق أعمال الأنبياء والملائكة لم يصر شيء منها مقبولاً. وأمّا الأمر فعلى ما عرفت بالفارسيّة: (هر باركه در[1] آينة أمر نِگرى سودايى در سرت پديد) آيد: (لي من كسبي أمرلكم بر عقب آن در آينه حق نگرى تاخودرا از عدم گم بيني، امروز أنبيا بنبوّت ورسالت مة نگرند، ملائكة بطاعت وعصمت مي نگرند موحّدان باخلاص وإيمان مى نگرند، فرداچون سرادقات جلال بازگشتند وسراپرده عزت بزنند، وأعلام جلال حقيقت ظاهر كنندهم فرياد عجز فزايش آرند: يكى گويد): (ما عبدناك حق عبادتك) يكى گويد: (ما عرفناك حق معرفتك).

**السابعة**: در راه إلهيت أو هركه خواست كه پيش رود فروماند نور عقل خواست كه پيرا من جلال اوگردد هباء منثور گشت، سروجان خواست كه قدر كمال او بداند حيرة گشت، معرفت خواست كه بحضرت قدس أو محيط شود عاجز شد.

أي ديده عقول در إدراك جلال أو حيره واحداقأرواح در مقابلة نور عزّت أو تيرة، أفكار أرباب حكمت در نثار بحار عظمت أو غرق شده، نتايج أصحاب فكرت وفطنت در أنوار أسرار جلال أو محترق گشته، زبانهاى أهل فصاحت از اگر، هزار دلائل وحدانيّت جوئى وآنچه بنقل آمده است نقد كنى وبر تجّار منقول ومعقول عرض كنى ودُرّ وعزيز وجواهر وزواهر درسلك تحصل كنى چون نيك نظر كنى خودرا در پله زيري: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: 255]، بيني ودون العين أستار وفي الأستار أسرار محجوبة عن الأغيار، فسبحان من عزيز ضلّت العقول في بحار عظمته وحارت الألباب دون إدراك نعمته [و] أصبح منسوباً إلى العيّ.

(1) هريار من هنا إلى قوله تقرير أخر إلخ اسقطه (ب) منبهاً على أنه تعمد ذلك.

شرح ومدح جمال أو كليل ودر هرگوشه هزار [ذبيح][1] وجريح وشهيد وقتيل.

**المناجاة:** أي آنكه تراجستن محال وازتو عبارت كردن وبال چون بامنى تراچگونه جويم، وچون بهيچ چيز ننمايى ازتوچگونه عبارت كنم، نه بى تو إيمان ونه باتو توان: (لا منك فرار ولا معك قرار المستغثات منك إليك). أي عزّ توهمه عزّهارا نعت دل بركشيده وأي جلال توهمه كلالها را داغ احتلال برنهاده، أي كمال توهمه كالمهار رارقم نقصان برزده، آي الهيّت توهمه عالمرار بق عبوديّت درگردن كرده، أي ذات توبى أين واى صفات توبى كيف واي بطش توبى جارحه، أي بصرتوبى حدقه، اي صفات تو عقولرا متحيِّر كرده، أي صمديّت تو جانهارا سراسيمه گردانيه، أي ارادت ومشيّت وأحكام آلهيّت تو از آلايش وهم خلق پاك، أي غيب غيب وأزل أزل تواز هواجس خواطر وضما يرآب وگل منزه، أي همه جانهابر (من تريد) عشق تونهادة وجز [وحشت][2] سود ناكرده، اي همه عشاق قصد رواق اشراق توكرده وجز نوميدى بدست نا آورده، آي همه أحباب بادل كباب قدم در راه تونها ده ومال وعيال وجاه ومهرّى وسرورى برباد داده وجزباد بدست ايشان نا آمده يا أرحم الرّاحمين.

**تقرير آخر: في أنه لا سبيل إلى معرفته.**

لا شك أن كلّ من كان انقطاع نظره عمّا[3] سوى الحق أكمل وكان استغراق قلبه في معرفته أتمَّ كانت معرفته أكمل، ولا شكَّ أن محمَّداً عليه أفضل الصلاة والسلام ليلة المعراج[4] بلغ الغاية القصوى في هذا الباب وكانت معرفته أكمل المعارف ثم إنّه مع ذلك اعترف بعدم المعرفة لأنه قال: **(لا أحصي ثناء عليك)** فإذا كان [هو] مع كمال القرب لم يعرف فمن كان في غاية البُعد كيف يمكنه المعرفة؟ والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

---

(1) [ذبيح] في الأصل: مديح.
(2) [وحشت] في الأصل: (حسب).
(3) عمّا: في (ب) ما.
(4) ليلة المعراج: ساقط من (ب).

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

# النوع الثاني من علوم هذا الكتاب
# في تقرير الدلائل الدالة على إثبات الصانع ﷻ

**وهذا النوع مشتمل[1] على مقدمة وأبواب.**

أمّا المقدمة فاعلم أنه تعالى رتّب دلائل إثبات الصانع في القرآن العظيم على وجهين:

**الأوّل**: أنه تعالى ابتدأ من الأعرف فالأعرف نازلاً إلى الأخفى فالأخفى في الدلائل، وهذا هو الترتيب[2] الذي اختاره في سورة البقرة لأنه ابتدأ باستدلال كلّ[3] أحد على وجود الصانع بنفسه وذاته فقال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: 21] ثم ذكر عقيبه استدلالهم بأحوال آبائهم وأجدادهم ثم ذكر عقيبه استدلالهم بأحوال الأرض فقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ ثم ذكر عقيبه الاستدلال بأحوال السماء ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ ثم ذكر عقيبه الاستدلال بالأحوال المتولدة بين[4] السماء والأرض، والسبب في هذا الترتيب أنّ أظهر الأشياء لكل أحد نفسه ثم أبوه[5] وأجداده ثم الأرض التي هي مسكنه، ثم السماء التي هي في غاية البُعد عنه. ثمّ الأحوال لا يتولد إلا بمجموع الأرض والسماء وهو المراد بقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 22].

---

(1) مشتمل في (ب) يشتمل.
(2) الترتيب: في (أ) الترتيبة.
(3) كلّ: في (ب) لكلّ.
(4) بين: في (ب) فيما بين.
(5) أبوه في (أ) أباه.

**«الوجه الثاني»**: في ترتيب الدلائل ما ذكره تعالى في أول سورة النحل فإنه تعالى ابتدأ من الأشرف فالأشرف نازلاً إلى الأدون فالأدون، وذلك لأنه تعالى ذكر المطلوب أولاً فقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: 2]، ثم أنه ابتدأ في[1] ذكر دلائل الصانع بالسمٰوات فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 3]، ثم ذكر عقبه الاستدلال بالإنسان فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 4] ثم ذكر بعده أحوال الحيوانات فقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]، ثم ذكر بعده أحوال النبات فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: 10]، ثم ذكر أنواع[2] العناصر فذكر الماء فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: 14]، ثم ذكر الأرض فقال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: 15] ثم لمَّا تمّم ذكر هذه الدلائل أعاد المطلوب الذي ذكره أولاً وقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17]، والمطلوب منه إثبات التوحيد ونفي الشركاء والأنداد. ثم قال بعده: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [النحل: 18] يعني أن هذه الأشياء التي ذكرناها استدلالاً بها على الصانع وعلى وحدانيته فهي أيضاً نعم جليلة ومنافع عظيمة في حقكم، والإنسان لو استقصى في تعداد[3] نعم الله عليه فإنه يعجز بالآخرة[4] وأكثر دلائل القرآن هكذا فإنها تكون دلائل من وجه ونعماً من وجه آخر ومثل هذه[5] الدلائل الخفية تكون أنجع في القلب وأشد تأثيراً في الروح، لأنها من حيث أنها دلائل تفيد المعرفة ومن حيث أنها نعم تفيد الانقياد للمنعم والاشتغال بشكره والخضوع لعزّ جلاله فإذا تعاون هذان الوجهان كمل حصول المقصود من الاعتراف بالخالق المنعم والانقياد لعز وجهه وكمال صمديته وإذا عرفت هذين النوعين من الترتيب في هذه الدلائل فنحن في هذا الكتاب[6] نرتب الدلائل على هذا[7] الوجه الثاني فنبدأ بشرح دلائل السمٰوات

---

(1) ساقط من (أ).
(2) أنواع في (ب) أحوال.
(3) تعداد في (ب) تعديد.
(4) بالآخرة ساقط من (ب).
(5) هذه ساقط من (ب).
(6) الكتاب في (ب) الباب.
(7) هذا ساقط من (ب).

ثم نذكر دلائل الشمس والقمر، ثم نذكر دلائل[1] النجوم ثم نذكر دلائل الإنسان ثم نذكر دلائل النبات، ثم نذكر[2] دلائل الآثار العلوية من الرعد والبرق والصاعقة والسحاب، ثم نذكر دلائل[3] أحوال البحار ثم نذكر دلائل الجبال، وذلك هو تمام المقصود من هذا النوع والله الموفق للخيرات.

(1) ثم نذكر دلائل ساقط من (ب).
(2) نذكر ساقط من (أ).
(3) دلائل ساقط من (أ).

obeikandl.com